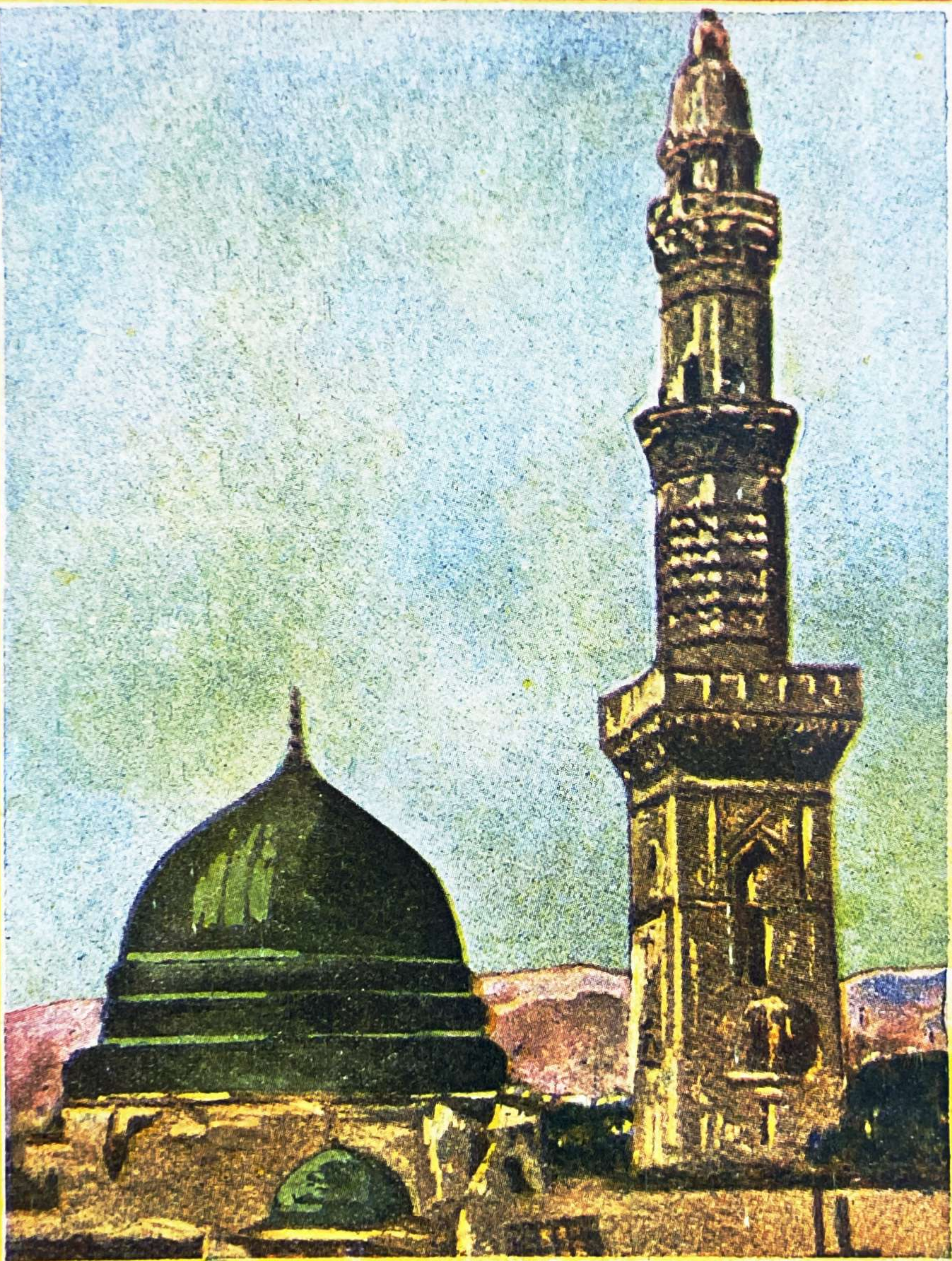


ذِكرَياتُ طَيبة

ذكريات طيبة

وبحوث حول أسرار الحج والزيارة

تأليف

هاشم محمد سعيد دفتردار

المدرّس بكلّيّة فاروق الأوّل الشرعيّة في بيروت

الناشر

جعفر ابراهيم الفقيه

صاحب مكتبة الفقيه بالمدينة المنوّرة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى عام ١٣٧٠ هـ و ١٩٥١ م

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

قال الله تعالى في كتابه الكريم

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ

بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

الحج ٢٧

رقمه البابا

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا
بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

رقمه كامل البابا

البقرة ١٢٥

إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين ۞ فيه آيات
بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان
آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين

رقمه كامل البابا

آل عمران ٩٦ و ٩٧

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ

كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله

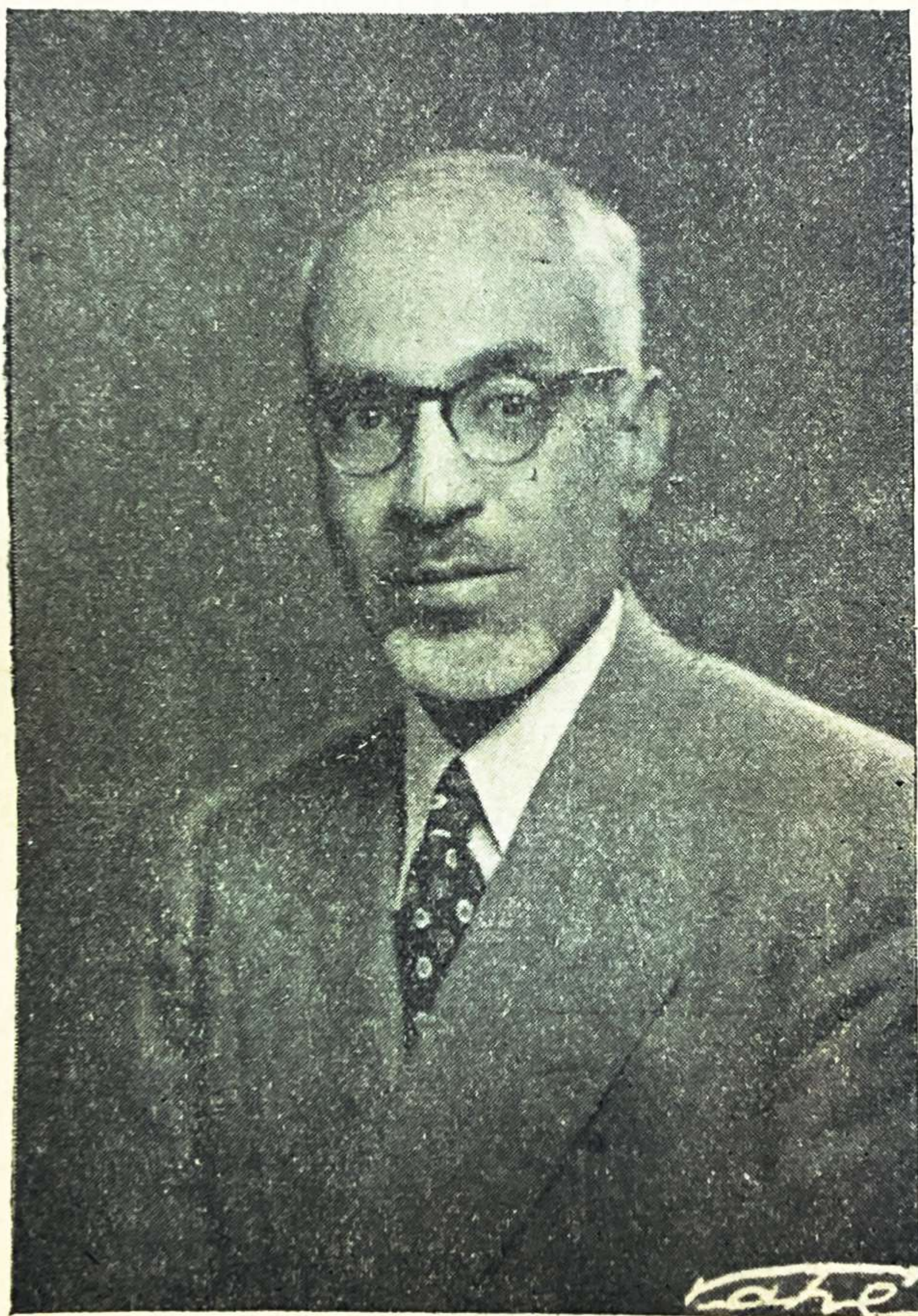
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك

فاستغفروا الله واستغفر لهم

الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

النساء ٦٤

الناشر



جعفر ابراهيم الفقيه

كلمة الناشر

كم أتمنّى أن تكثرَ المؤلفاتُ القيمة التي تحمل لروّاد الحرمين الشريفين ، المعارف المتوفرةَ على كشفِ أسرار الحج والزيارة ، بصورة سهلة جذابة . فيها الغايةُ الغايةُ ، وفيها إلفاتُ الروح لجلال الذكريات الخالدة .

أجل كم أتمنى ذلك لِما أجد في بعض المؤلفات من شروح طويلة لمسائل جدّ بعيدة عن سموّ الأهداف المقصودة بالذات ، من مشاعر الحج والزيارة . تجهدُ المثقفين المتعمقين أن يلموا بكل أطرافها ، فضلًا عن المطالعين الماديين ، وهم السواد الاعظم .

... ولِما أجد في بعضها من اختصار ، يشعر القراء معه أنهم حيال نطاق صفيق مرسل ، بينهم وبين حِكم الحج ، وآداب الزيارة . وبين جانب من الاعمال التي يكلفون بها هناك أمراً أو نهياً .

ولما أجد في بعضها من بحوثٍ منتزعةٍ من المؤلفات المبسوطة لكبار الفقهاء ـ رحمهم الله ـ يقتضي فهمُها دراسةً طويلةً شاقة، وإلماماً بمناهج أساليبهم ومصطلحاتهم: انتُزِعَتْ وجمعت وطبعت باسماء غير اسمائهم.

نعم لدينا مؤلفات ممتازة لعلماء نوابغ. فيها الفهمُ العميق، والحيوية المتقدة الجذابة التي تستهوي أنفس القراء، وتسْحَرُ قلوبَهم، وتكشفُ لهم واقعَ المعرفة باسلوب سهلٍ شفاف كالبلور الصافي !! إلّا أَنها قليلة جدًّا، لا تتجاوز عدَّ اصابع اليد الواحدة.

وموضوع اجتماعي عالمي خطير كهذا، تتهذب فيه انسانيتُنا وتسمو وتتوحدُ، حرامٌ أن تقلَّ فيه المؤلفات المحترمة بمثل هذه الحال المخيفة، والخليقُ بنا أن تكون بالمئات في كل عام.

تلك القلة المخيفة، هي ما جعلتني أَعرض على مواطني مدير دار الانصاف للطباعة والنشر والترجمة في بيروت الاستاذ الشيخ هاشم الدفتردار في عام ١٣٦٧ هـ حين كان لدى اسرته في المدينة المنورة أن يتولى وضع مؤلف يتناول شرح هذه النواحي بملابسات عصرنا وظروفه.

وأحسبُ أنه سُرَّ لهذا العرض ، بل أحسب أنه اطمأنَّ الى أنه واجب مقدس .

وإني اعتمدتُ أن يكون إخراجُ هـذا المؤلف فوق مناسبـاته لروح العصر ، وفوق رشاقـة اسلوبه ، وسهولته ، محتويا على مجموعة من الصور الحديثة لكل المشاهد الحافلة بالذكريات المقدسة ، لتكون عونًا للقراء ، على توضيح الغاية من المؤلف ، وكشف ما خفي من جلال الأحداث التاريخيَّة . فان للصور من افانين البيان ، وكشف المعالم ما تجعلنا في غنى عن الافاضة في الوصف شأن الكتاب قديماً .

ولا يفوتني في هذه الكلمة أن أتقدم بجزيل الشكر لوالدنا العلامة المصلح الشيخ محمد توفيق الهبري الذي رأيتُ منه حماسةً مُتقدةً ، واندفاعاً ومساعدة في التوجيه ، ليس من اليسير أن أنساها ، حين عرضتُ عليه رغبتي في تكليف صديقي الشيخ هاشم دفتردار ، ليجدَّ في اظهار هذا المؤلف الثمين الذي يزدهر باضواء أقدسِ مقدسات معالمنا الاسلاميَّة .

كما لا يفوتني أن أنوه بكل ما أمدني به من العناية والاهتمام لطبع هذا المؤلف في حلته هذه القشيبة الرائعة صديقي النبيل السيد احمد امين الحبال البكوي أمين سر المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى في الجمهورية اللبنانية .

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أسأل الله تعالى، أن يغدق أنعمه على صديقي ومواطني مؤلف هذا الكتاب، الذي بذل فيه من جهوده الموفقة ما بذل . وما هو في الواقع إلا خدمة عامة لكل المسلمين، بل لكل انسان، إذ الوجودُ الانسانيُّ كلُّه محالٌ أن يشتمل على ذي معرفة عميقة ناقدة متحررة مقارنة، لا يكبر من ذكريات خاتم الانبياء، ومُثلِ تعاليمه العليا ما يكبره المسلم الصميم .

ولولا الفهمُ العميق الناقد المتحرر المقارن، لِما قام به رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من اصلاحات في محيط العالم الانساني، لما رأينا عباقرة المستشرقين العلماء ينكبون على دراسة كل ما يتصل به، دراسة علمية واعية مخلصة، رائدها

كشف واقع المعرفة .

وهنا أضرع الى الله تعالى أن يديم به النفع ، وأن يجعله احتساباً لوجهه الرحيم ، ومحبةً في ذكرى رسوله الكريم .

الناشر

جعفر ابراهيم الفقيه

عام ١٣٧٠ هـ صاحب مكتبة الفقيه

في المدينة المنورة

المؤلف



هاشم محمد سعيد دفتر دار

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمدُ للهِ فاطرِ السَّموات والأرضِ جاعلِ الملائكةِ رُسُلًا أولي أجنحةٍ مثنىٰ وثُلَاثَ ورُبَاعَ ، يَزِيدُ في الخلقِ ما يشاء ، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير »[1]

والصلاةُ والسَّلامُ على مَن شرَّفه اللهُ بنهاية النبوّات والرسالاتِ السَّماوية ، الموجهةِ إلى الأُمم والشعوب كافة ، ما دامت السموات والأرض .

وأسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركه الله ، وعرج به الى السبع الطباق ، وأراه من عجائب قدرته ، وغرائب ملكوته ، ما زلزل نبأه العقول السطحيَّة الخفيفة ، التي لم تعرف مِنْ مدى قدرة خالق الوجود

---

(١) الفاطر ١

عز وجل ، إلا ما كانت تعرفه لأربابها التي ألهتها من الأرواح، وأنزلتها في أجواف الأوثان والأصنام .

وبعد فهذا كتابُ «ذكريات طيبة» ألحّ في طلبه كثير من الاصدقاء . وقد كان طلبه صاحب مكتبة «الفقيه» في المدينة المنورة ، الشيخ جعفر بن استاذنا المرحوم الشيخ ابراهيم الفقيه . من شقيقي الشيخ محمد دفتردار معتمد المعارف في المدينة المنورة . فاعتذر اليه ، لكثرةِ مشاغل الوظيفة ، التي لم تدع له زمناً يستريح فيه الى كتابة الاسفار وتأليفها .

وكم تأتي المناسبات بالعجائب ، فحوّل هذا الامر إليّ ، لانه رآني بجانبه فارغاً من الاعمال ، فشفعتُه بالاعتذار ، فأبى فأنظرته الى فرصة اخرى .

ولم يكن بعد عودتي الى مقر عملي في بيروت كبيرُ زمنٍ ، حتى وافاني ، وهو يحمل في هذه المرة الصرامةَ والجدّ والاستعجال ، شأن الحجازيين لدى تصميمهم في إنهاء أعمالهم .

ولم يترك لي من الايام ، لتأليفه سوى خمسة عشر يوماً ، فاستقللتُهنّ فأبى الزيادة ، ولو لم نكن في منزل استاذنا الشيخ محمد توفيق الهبري ، ولو لم يتدخلْ في الأمر ، ويضاعف

المدة ، لما كنتُ أدري ما أنا صانع .

ولا أحبُّ أن أكتمَ قرائي الحقيقةَ ، فالكتابُ استغرق تأليفُه اكثر من شهر . ولولا قداسةُ الموضوع ، وجلالُه وجواذبُه في نفسي ، لامتد الى أشهر . وما من موضوع — مهما يكن حاله — أقدسُ وأجل منه . وهو موضوعُ كلّ وِجهة اسلامٌ الى الله تعالى ، وطلب مرضاته .

ولا غرابة أن يكونَ كذلك ، وَوِجهةُ كلِ العوالِم الروحيَّة والماديَّة ، اسلامُها لوجهِ اللهِ الخالق العظيم طائعة ، وسَعْيُها الحثيثُ لطلبِ مرضاته مختارة .

« وله أَسلم مَنْ في السمواتِ والارض ، طوعاً وكَرها ، وإليه تُرْجعون »[1]

« ثم استوى الى السماء ، وهيَ دُخانٌ ، فقال : لها وللارض ائْتِيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين »[2]

« الشمسُ والقمرُ بحسبان . والنجمُ والشجر يسجدان »[3]

ومن اجل ذلك أودعَ اللهُ في الانسان غريزة التدين ، على الرغم من حريَّةِ الفكر والاختيار ، تلك فطرةُ الله التي

(١) آل عمران ٨٣ (٢) فصلت ١١ (٣) الرحمن ٥و٦

فطر الناس عليها . « فأقم وجهَكَ للـدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناسَ عليها ، لا تبديلَ لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكنَّ اكثرَ الناس لا يعلمون »[1]

ولم يمدَّ اللهُ غريزةَ التدين بالعقل الواعي إلا ليُساعدها في إثارةِ روح الايمان ، بما يكشف من حقائق الوجود ، وآياتِ وَحيِ الله المعجز ، ولكي يبذل عن فَهْم واقتناع جهودَهُ وتضحياتِهِ ، في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل الدعوة إليه .

وما كان الحجُّ ركناً عظيماً في الاسلام ، إلا لأنَّ طلبَ الله واضح في مشاعره وضوحاً .

وكم كان من واجب الكاتبين عنه أن يستعرضوا روح العقيدة السماوية الحق ، في الخالق عز وجل ، لأن الحج اليه وحده . وروح أعمال صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، لأنه وحده الاسوة الكاملة الكبرى للانسانية جمعاء ، فيما يجب عليها لله الخالق العظيم المعبود بحق .

وبدونها لا يَستقيمُ طلب رضوان الله عـز وجل ، ولا

---

(١) الروم ٣٠

يصدق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ... قبل أن يستعرضوا أسرار مناسك الحج ، وآداب الزيارة في الحرمين الشريفين . ولا أريد ان أفاخر بنفسي فأزعم اني اوفيت الموضوع حقه — والنفس اصغر من ذلك — وانما أوفيته بالمقدار الذي وهبنيه ربي . فما به من تمام فمنه تعالى - وله الحمد - وما فيه من قصور ، فمني اسأل الله العفو ، وقد بسطت القول في دار الهجرة ومعالمها ، لان سمة الكتاب هي «ذكريات طيبة »

المؤلف

هاشم محمد سعيد دفتر دار

واقع المعرفة

لا جهودَ على الاطلاق، تهذب السريرة الانسانية، وتقوِّم عوجها، وتنهض بها الى الهدى والخير والسلام، والدعوة الى الله تعالى، تعدلُ الجهودَ المتضافرة المفروضة لكشف واقع المعرفة، إذ بكشف واقع المعرفة ينكشف الإيمانُ الحق، والإيمان الباطل، وعبادة الصانع، وعبادة المصنوعات، وكنه التوحيد، وكنه الإشراك.

بل ينكشف كلُّ الحق، وكلُّ الباطل، في شتّى مَشاكل الحياة الروحيَّة والمادية، التي هي مثارُ الأَحقاد والفتن والحروب.

ولولا أن الانسانية أدركت وزن هذا العمل المجيد، الذي جاء به خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفرضه على الناس فرضاً، لما عرفنا العالم الجديد، بل لما شاهدنا للحضارة والعلم كلَّ هذه المنائر الشاهقة في الشرق والغرب.

وكون العمل لكشف واقع المعرفة مفروض في الاسلام

لا يجهله أحد . وهو العلم ، والقول السديد ، والحق والقسط .

وكيف لا يكون مفروضاً في الاسلام، وهذه النصوص القطعيّة جاءت فيه :

« وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً »[1] ، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »[2] « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً »[3] « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا »[4]

وهذا العمل الاصلاحيّ الكبير ، يتصل بناحيتين . هما : الجناحان اللذان يفضيان بنا الى كشف واقع المعرفة . وبدونهما لا ينكشف شيء : —

الاولى : متابعة النظر العلمي الباحث في عوالم الوجود للاهتداء الى كشف واقع المعرفة .

ونصوص طلب متابعة النظر العلمي الكاشف كثيرة جداً في القرآن المجيد

---

(١) النجم ٢٨ (٢) النساء ١٣٥ (٣) الاحزاب ٧١ (٤) الاسراء ٣٦

« قل انظرُوا ماذا في السموات والارض ؟ وما تغني الآياتُ والنذرُ عن قوم لا يؤمنون »(١)

« وفي الارض قطعٌ متجاوِرات ، وجنّاتٌ من أعناب . وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صنوان يُسقى بماء واحد ، ونفضِّلُ بعضها على بعض في الأُكُل ، إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون »(٢)

وتوطيداً لفرض النظر العلمي الكاشف ، آذنَ اللهُ عباده أن كلّ شيء في السموات والارض ، مسخرٌ لهم تسخيراً تاماً للبحث والدرس والاستنتاج والإفادة ، بل للهداية الى معرفة الله الخالق الحق .

« ألم ترَوْا أنّ اللهَ سخّر لكم ما في السَّموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً ، ومن الناس من يجادلُ في اللهِ بغير علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ منير »(٣)

« اللهُ الذي خلق السموات والارضَ ، وأنزلَ من السماء ماء ، فأخرجَ به من الثمرات رزقاً لكمْ ، وسَخَّر لكمُ الفلكَ لتجري في البحر بأمره ، وسَخَّر لكمُ الانهار . وسخَّر لكم الشمسَ والقمرَ دائبَين ، وسخَّر لكمْ الليلَ والنهار »(٤)

(١) يونس ١٠١ (٢) الرعد ٤ (٣) لقمان ٢٠ (٤) ابراهيم ٣٢ و ٣٣

يفهم العلماء الماديون اليوم ، ان قِوام عناصر المادة ، القوى الروحية ،[1] وان العناصر اذا حطمت ذراتها ، تذوب في محيط القوى الروحية — اي ترجع اليها — أما القوى الروحية ، فانها لا تذوب في محيط العناصر ، اذ بها قِوامها . فهموا ذلك فهما علمياً مشاهداً بالتجربة والحس ، لانهم حطموا الذره التي هي قِوام العناصر ، فالمواد فالعوالم المادية . فظهرت لهم تلك القوة الهائلة المرعبة ، التي تمسك عوالمها . حتى أن قنبلة ذرية واحدة ، كافية لأن تفتك بمدينة كبرى « كنغازاكي » ، ما لا تفتك بها آلاف القنابل المادّية النارية الملتهبة .

وقد كان العلماء الماديّون من قبل ، يحسبون الذرّة نهاية العوالم ، وليس وراءها شيء !

---

(١) كل العوالم غير المادية ، هي روحية ، سواء كانت عاقلة ، كالملائكة او غير عاقلة كالجاذبية ، وتسمى ايضاً « العوالم المعنوية » اشارة الى ان قوام اللفظ ، هو المعنى ، ولولا المعنى لكان اللفظ لا شيء .

يا لله ، كم تتطور عقليات العلماء من عصر الى عصر .

اليوم وجدوا أنفسهم ، حيال شاطىء العوالم الروحية ، وجهاً لوجه : العوالم التي لا تتناهى شواطئها ولا محيطاتها ، ولا اكتشافات معارفها . « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »[1]

واليوم عرفوا أن هذه الاجساد المادّية ، التي تلبس الأرواح ، ما هي إلا مظهرها في عالمنا هذا ، وَفق نواميسه ومقتضياته ، ولها في كل عالم كيفيات مظاهرها الخاصة ، وفق نواميسه ومقتضياته ايضاً . « نحن قدّرنا بينكم الموتَ ، وما نحن بمسبوقين . على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأُولى ، فلولا تذكَّرون؟ »[2]

وليس بين أساطين العلماء المادّيين اليوم ، من ينكر بقاء الأرواح بعد بلى الأجساد ، والمنكرون أحد رجلين : إما محب للظهور ، ولو كان على حساب الرجعية المنكرة . وإما واهن الدرجة العلميَّة ، يتبجح بجحود حقائق الأرواح ، التي ملأت الأسماع والابصار ، ليستروهن علمه ، بما يعتمد عليه من غباوة

(١) فصلت ٥٣ (٢) الواقعة ٦٩ و ٦٠ و ٦١

السطحيين ، الذين يحسبون المبالغة في الجحود ، آية توفّر الامكانيات العلمية في النفس ، وآية الفهم العميق بقيم العلم الخالدة .

ومثلهم في نكرانهم عوالم الارواح ، كمثل السفسطائيين اليونان ، الذين انكروا عوالم المادّة ، وزعموها خيالات وأوهام . وقد يما نقلها عنهم قردة الشرق الى العراق

وكم من توفيق كان للإمام أبي حنيفة ، يوم زاره رئيسهم ، وأمر غلمانه بإخفاء بغلته حتى إذا انصرف من مجلسه وأخذ يبحث عنها ، ابتسم الإمام قائلاً : لماذا البحث ؟!! وهل الخيالات تطلب للذهاب عليها ؟! ... فأدرك المناورة العلمية ، ولمس في تضاعيفها واقع المعرفة . فتراجع إليها مذعناً ، شأن العلماء .

كما أن مثلهم في لجوئهم إلى الإسراف ، في نكران عوالم الأرواح ، ليستروا ضعفهم العلمي بين الناس ، كمثل ضعفاء الشعراء في العصر العبّاسي ، الذين كانوا ينكرون شاعرية عباقرة الشعراء ، كبشّار وابي نواس وأبي العتاهية والشريف الرضي ، ومهيار الديلمي ... ويتهمونهم بالضعف ، بحجة أنهم

حادوا عن نسق شعراء الجاهلية وأساليبهم وفنونهم ، مبالغين في تصغير شأنهم ، ليستروا وهن شاعريتهم ، وعجزهم عن التحليق والابتكار .

على أن نفس غلاة الماديين المتشددين من الغربيين ، يكبرون من القِيَم الروحية — ما يتنزه عنه قِردة الشرق الجاهلون — يكبرونها كل الاكبار ، ويشهدون مهرجاناتها ، مؤمنين بمنافعها .. فتراهم يشاركون في مواسم الجندي المجهول ، وفي إقامة النصب التذكارية ... ويرون في كل ذلك ، فوق ما يراه الشرقيون في معالمهم من المنافع [1] .

ولربما تأخذنا — نحن الشرقيين — مفاتن مظاهر المادّة ، ما لا تأخذهم ، لأنهم قوم مثقفون علماء ، يفهمون الأَهداف الرئيسية ، والبواعث الحقيقية لمواسمهم ، اكثر مما نحن نفهم . ها نحن أولاء ، نقيم في كل عام ، مواسم الحج والزيارة فنحرم ونطوف ونسعى ونقف في عرفات ونرمي الجمار

---

(١) المقصود هنا الرد على قردة الشرق الماديين الذين انكروا منافع الحج ، وليس المقصود ان نفعل مثل الغربيين في مواسمهم لانها مواسم ذات صبغات قومية متحاقدة ممزقة، تنافى مثل تعاليم الاسلام الانسانية الجامعة ، ومواسمها التي هي للجميع ، لا امتياز فيها لأبيض على أسود ولا لأحمر على اصفر ، (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

ونشرب من زمزم . كما نزور المسجد النبوي ، ونسلّم على خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه ، ونصلي في روضته المطهرة مراراً ، ونعبد الله حيث عبد ، ونروح ونغدو حيث راح أو غدا ، اقتفاءً لسنته ، واتّباعاً لآدابه ، في حسن توجهه إلى الله سبحانه وتعالى ، في المساجد التي توجه فيها ، رجاء المغفرة والقبول ...

ومع ذلك فأكثرنا يرجع إلى أوطانه ، وقد نسي كنوز القوى الروحية ، التي انسكبت اشعاعاتُها ، من اعمال صاحب الرسالة ، التي هي الاسوة في أعماله ، وغمرته بالاضواء والنفحات الإلهية ، العابقة طيوبها في المشاعر المقدسة ، التي يتردد إليها في غدواته وروحاته ، حتى يحس أنه على كثب ، من الإنسانية المثالية الطهور ، التي افتتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القلوب وغزا العقول ، وملأ بها الدنيا صدقاً ووفاءً وثقةً ومودة ، وهدًى وسلاماً ، وهو في كل مواقفه هناك ، لا يذكر أتعابه وأمواله التي انفقها ، بل لا يذكر حتى عشيرته وآله .

ولو أن روّاد الحرمين الشريفين ، الذين يشهدون المواسم ،

يستطيعون أن يتمثلوا تلك الروحانية العالية ، التي كانت تغمرهم هناك ، بعد عودتهم إلى أوطانهم ،ويجعلوا اعمالهم وَفق اقداسها السامية،وكمالاتها الرفيعة ، لأصبحوا انسانيين مثاليين قادرين على أن يكتسبوا ثقة الناس ، وينهضوا بهم الى مُثل الاسلام العليا ، والفضيلة والخير والشرف، ويحققوا ضرورات الإصلاح بوعي وأمانة وإخلاص وتضحية .

معرفةُ ذات الله وصفاته ، إنما هي نتيجةٌ حتمية لمعرفة كنه مخلوقاته كافة ، وما دمنا — ونحن في القرن العشرين — عاجزين عن الإحاطة بكنه أدنى العوالم ، فضلًا عن الاحاطة بها جميعاً ، فكم نكون إذن عاجزين عن الاحاطة بذاته سبحانه وتعالى .

هذه مسألةٌ مفروغ منها ، لا تقبل المراجعة أبداً . ولكنها لا تنهض بحالٍ ، عذراً لتبرير تأليه أشياء العوالم المادية، أو أشياء العوالم الروحية ، والله يعلم عجز البشر لأنه خالقهم ومن اجل ذلك ارسل اليهم رسلًا منهم ، وانزل عليهم وحيَهُ واعطاهمُ العقلَ والعلم، وإن كانا محدودين — لإنقاذهم من أن يفضي بهم العجزُ الى السقوط ، في وَهدة الوثنية أو الاشراك.

أرسلهم وأيدهم بالبينات الكافية، لإقناع أهل كل عصرٍ بما يتناسب مع درجتهم العلمية ، في سلّم الحضارة : « رُسُلًا مُبَشّرين وَمُنذِرين ، لِئَلّا يكونَ للنّاس على اللهِ حجّةٌ بعدَ الرُّسُل ،

وكان اللهُ عزيزاً حكيماً »[1].

فإن أهملوا بما لديهم من عقل وعلم ، دراسة البيّنات الدامغة ، التي أيد الله بها رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم إيثاراً لما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من تقاليد ، أو أعرضوا عنها أنَفَةً وكبرياء ، أو درسوها وهم يفقدون الإيمان بوجوب تأييد واقع المعرفة ، والاهتداء الى الحقيقة ، أو درسوها لقصد التزييف والتحامل الآثمين ، انتصاراً لوثنياتهم وإشراكهم . على حقيقة الإيمان بالخالق العظيم عز وجل . فإنّ اللهَ لا يغفرُ لهم ، بل لا بد أن يؤآخذهم ، بما اختاروا لأنفسهم من كفر « إنّ الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ، ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاءُ ومن يُشْرِكْ بالله فقد افترى إثماً عظيماً »[2] « ولا يزالُ الذين كفروا تُصِيبُهُمْ بما صنعوا قارعةٌ ، أو تَحُلُّ قريباً مِن دارهِمْ حتى يأتيَ وعدُ اللهِ ، إنّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد »[3] « إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ، من بعدِ ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهمُ اللهُ ، ويلعنهمُ اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا ، فأولئك أتوبُ عليهم ، وانا

(١) النساء ١٦٥ (٢) النساء ٤٨ (٣) الرعد ٣١

التَّوابُ الرحيم»[1].

أجل إن الله لا يغفر للذين يؤلهون عوالمه المادّية، أو عوالمه الروحية، سواءٌ التأليه الكلي، أو التأليه الجزئي[2]. لا يغفر لهم، لأن تأليههما مأتى كل أمراض الوثنية والاشراك، ومأتى كل أساطيرهما.

ولا ريب أن الاصرار على تأليههما، انما يكون نتيجة حتمية، لعدم التمييز العلمي بين الخالق ومخلوقاته، والصانع ومصنوعاته — ماشي الحال، كلُّ شيء هو الله — !! على زعمهم «اللهُ خالقُ كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيل. له مقاليدُ السمَواتِ والارض، والذين كفروا بآياتِ الله، أولئك هم الخاسرون. قل أفغيرَ اللهِ تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون. ولقد أُوحي اليك والى الذين من قبلك، لَئِن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين. بل اللهَ فاعبُدْ وَكُنْ مِنَ الشاكرين. وما قدروا اللهَ حق قدره، والارضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة، والسَّموات مطوياتٌ بيمينه، سبحانه وتعالى عما

(١) البقرة ١٥٩و١٦٠

(٢) التأليه الكلي، هو أن يزعم ان المخلوق المعبود، هو الله ذاته، كالذين اتخذوا الشمس الهاً «رع» والجزئي ان يزعم فيه جانب من الالوهية، كالذين ألهوا الاوثان ...

يشركون »[1]

صدق الله العظيم ، لو أن هـؤلاء ، علموا يقينـاً أن الله وحده خلق كلَّ شيء ، لقدروه حق قدره ، ولو قـدروه حق قدره لما خالوه بعض مخلوقاته المادية : فخالوه شمساً او قمراً او انساناً او حيواناً ... ولمـا خالوه بعض مخلوقاته الروحيـة ، روحاً عامة او خاصة ، او روحـاً من الملائكة او الجن او الانس « ويوم يحشرُهم جميعـاً ، ثم يقول ُللملائكة : أهـؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك انتَ وليُّنا من دونِهم ، بل كانوا يعبـدون الجنّ ، اكثرهم بهم مؤمنون »[2] « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكةَ والنبيّين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ؟ »[3]

(١) الزمر ٦٢ - ٦٧ (٢) سبأ ٤٠ و ٤١ (٣) آل عمران ٨٠

عبادة الخالق وعبادة المخلوقات

عبادة الخالق العظيم : « أعمال مخصوصة يتوجه بها العابد الى خالق العوالم المادية والروحية ، التي تملأ الفضاء [1] مع إيمانه الجازم ، أنه وحده موجدها من العدم المحض ، وأنه وحده المهيمن عليها ، وأنه وحده المنزه عن أية مشابهة لها في ذاته وصفاته وأفعاله « منزه في كل شيء »

(١) الفضاء : هو مجموع الزمان والمكان ، أي مجموع العوالم المادية والروحية الخاضعة لسلطان احاطة الجهات الست ، مهما كبرت او صغرت ، والمكان هو الوجود في حيز الجهات ، والزمان هو استمرار الوجود في نطاق ذلك الحيز . ولا يخرج عن حكم سلطان الزمان والمكان ، اي وجود، سوى وجود خالقهما العظيم ، لأنه لو كان وجوده خاضعاً لسلطانهما ، لما صح ان يكون خالقهما . وكيف تخضع الجهات بحكمها وجودالخالق العظيم الازلي ، الذي كان قبل وجودها . « الا انهم في مرية من لقاء ربهم ، الا انه بكل شيء محيط » (ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شي محيطا) . ولن تجد ابلغ في تصوير هذه الحقيقة الالهية المعجزة من قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله،ان الله واسع عليم)ففي الآية تصوير بياني معجز ، لغيوب السلطان الالهي المطلق على الجهات الست،لا لسلطانهاعليه ، لانها في حكمه وقبضته ، والله وراءها كلها ، بلا اين ، لان المكان الذي تتحقق به لفظة اين ؟ مندرج في حدود امتدادات الجهات الست ، التي لا تتناهي في علم الانسان ، وهي بلا ريب في قبضة سلطان الله وقهره وحكمه ، ولو لم تكن كذلك ، لما صح ان يكون وجهه الكريم ، وراء سلطان امتداداتها ، لدى توجه مخلوقاته اليه في اي عالم من العوالم

في خضوعها لاحكام النواميس التي فرضها عليها .

في ضرورة وجودها الى احاطة الفضاء بها، وجهاته الست .

في اذعانها لسلطان الزمانِ والمكان، من حركةٍ وسكون واجتماع وافتراق، وحلول وانتقال، أي في كل ما يجعله خاضعاً لسلطانه الموجهِ نواميسَ العوالم العامة والخاصة، وِجْهَةً هو موليها، ولا تستطيع أن تنفكَّ عنها ابداً .

وعبادة الله، يجب أن تكون خالصةً من شائبة الوثنية والاشراك، كما يجب أن تكون وفاق وحيه، وحسب الاوضاع والكيفيات التي عيَّنها، لنيل رضوانه، وسعادة العالم الثاني .

« وما أُمِروا إلا ليعبدُوا اللهَ مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصَّلاةَ ويُؤتوا الزكاة وذلك دينُ القَيِّمة »[1] « قل اللهَ أَعْبُدُ مخلصاً له ديني، فاعبدوا ما شِئْتُمْ من دونه »[2] « إن الذين تدْعون من دونِ اللهِ عِبادٌ أمثالُكم، فادعْوهم فليستجيبوا لكم، إن كنتم صادقين »[3]

هذه هي العبادةُ التي شرعها اللهُ في كل دين سماوي،

(١) البينة ٥ (٢) الزمر ١٤و١٥ (٣) الاعراف ١٩٤

واذا توجه بها أيٌّ متوجهٍ في أي عالمٍ الى أي كائن من الكائنات المادية أو الروحية، معتقداً أنه هو اللهُ الخالق الحق، فقد كفر بكل ما شرعه الله من دين. « شَرَعَ لكم من الدين ما وصّى به نوحاً، والذي أوحينا اليك، وما وصينا به ابراهيمَ وموسى وعيسى، أن أقيموا الدّين ولا تتفرقوا فيه. كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم اليه، اللهُ يجتبي اليه من يشاءُ ويَهدي اليه من يُنيبُ »[1] « ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً، أنِ اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوت »[2] « وما أرسلنا قبلك من رسولٍ إلا نُوحي اليه، أنه لا إلهَ إلا أنا فاعبدونِ »[3]

وان أشرك في قصده بهذه العبادة، مع اللهِ الخالق العظيم، كائناً آخرَ من مخلوقاته الروحية او المادية، فهو مشركٌ في كل الاديان السماوية.

« قُل تعالَوْا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكمْ ألا تشركوا به شيئاً »[4] « ومن يدعُ مع الله إلهاً آخرَ، لا برهانَ له به، فانما حسابُه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون »[5] « وجعلوا له

---

(١) الشورى ١٣ (٢) النحل ٣٦ (٣) الانبياء ٢٥ (٤) الانعام ١٥١
(٥) المؤمنون ١١٧

من عباده جزءاً ، إن الانسان لكفور مبين »[1]

ولم يكن جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والرسل قبله ، ولم يكن إنزال الكتب المقدسة ، ولم تكن الآيات البينات التي يؤيد الله بها الدعاة اليه ، الا لتحرر العبادة له وحده ، وتخلص من شائبة الوثنية والإشراك .

وأنواع العبادات أربعة : واحدة منجية ، وثلاث مهلكات .

١ ـ المنجية : العبادة المطلوبة بوحي الله ، الموجهة اليه وحده حسب امره من غير زيادة ولا نقصان ، كالصلاة والصوم والحج ...

وأما المهلكات : ـ

فالاولى : العبادة المطلوبة بوحي الله الموجهة الى سواه ، كالذي يصلي الصلاة المشروعة ، ويصوم الصوم المشروع ، لغير الله تعالى . ومن هذا القبيل ما قاله بعض الزنادقة في العصر العباسي : « يكفي الحج الى سامرّا » !!

والثانية : ـ العبادة غير المطلوبة بوحي الله الموجهة اليه وحده ، كالذي يصوم الصوم البرهمي ، ويصلي الصلاة البوذية

(١) الزخرف ١٥

لله تعالى . ومن هذا القبيل صلاة البهائيين التي اخترعوها لتكون قربى الى الله تعالى [1] ، بدل الصلاة الاسلامية التي فرضها الله على خاتم المرسلين وأمته .

والثالثة : العبادة غير المطلوبة بوحي الله ، وغيرُ الموجهة اليه ، كعبادة الوثنيين والمشركين ، الذين يصلون ألواناً من الصلوات ، شرعوها لآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، ما أنزل الله بها من سلطان ... « أمْ لَهُمْ شركاءُ شرعوا لهم من الدينِ ما لم يأذنْ به الله ، ولولا كلمةُ الفصل لقضي بينهم ، وإن الظالمين لهم عذابٌ أليم » [2] « إن هي الا اسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ إنْ يتَّبعون إلا الظنَّ ، وما تهوى الأنْفُسُ ولقد جاءهم من ربهمُ الهدى » [3]

والعبادة المطلوبة بوحي الله الموجهة اليه ، هي العبادة المشروعة ، وهي تختلف كيفياتها وتحديداتها في وحيه المتتابع على رسله ، حسب أوضاع الحاجات الزّمنية ، وبواعث تطوّرات الاجيال ، « لكلٍ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً » [4].

---

(١) راجع كتاب الايقان للبهائيين (٢) الشورى ٢١ (٣) النجم ٢٣

(٤) المائدة ٤٨

وهناك أنواع من العبادات ، كانت مفروضة ، في الصحف التي أوحاها الله ، الى سيدنا ابراهيم الخليل ، بدّل الله بعضها وأبقى البعض ، في التورة التي أوحاها الى سيدنا موسى ، وهذا شأن الانجيل الذي اوحاه الله الى سيدنا عيسى .

وما أحكم الله في وحيه أنواع العبادات ، وأوضاعها وكيفياتها ، الى غير نسخ وتغيير وتبديل وزيادة ونقصان ما دامت السموات والارض ، إلا في خاتم الوحي الإلهي « القرآن المجيد والسنّة النبوية المطهَّرة » . ومن اجل ذلك اعلن الله في إبان نزول القرآن المجيد ، أنه هو الذي يتولى حفظه ورعايته وصيانته الى يوم القيامة « إنا نحن نزّلنا الذِكرَ ، وإنا له لحافظون »[1]

نعم في كل دين سماوي ، صوم وصلاة وزكاة ، ومناسك وقربات ، ــ الجوهر واحد ، وانما الاختلاف في الاشكال والاوضاع « يا أيها الذين آمنوا ، كُتُبَ عليكم الصيامُ كما كُتُبَ على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون »[2]

وبيانه ، أن العبادات المطلوبة في دين سماوي لاحق ، تختلف

---

(١) الحجر ٩ (٢) البقرة ١٨٣

أشكالاً واوضاعاً ، في دين سماوي سابق . وهذا الاختلاف يجعل كيفيات العبادات السابقة ، غير صالحة لاحراز رضوان الله ، ونيل سعادة العالم الثاني .

والتغيير والتبديل والنسخ ، لا يكون إلا بوحي الله ، المنزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، الذي فيه جميع الدلائل العلمية القطعية ، أنه وحي من الله تعالى .

وكلٌّ واجب الباحثين المتبتلين لكشف واقع المعرفة أَن يخلصوا النية في متابعة الدرس والنظر ، في آيات خاتم الوحي الآلهي ، لأن امراً كهذا تتوقف عليه سعادة الانسانية الابدية ، ليس من الايمان والعلم ، ولا من الحكمة والانصاف أخذه إعتباطاً بالتقليد والتلقين « واذا قيل لهم اتَّبعوا ما أَنزل الله ، قالوا : بل نتبعُ ما ألفينا عليه أباءَنا ، أوَ لو كان آباؤُهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » (١) « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ ، إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءَنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » (٢)

---

(١) البقرة ١٧٠ (٢) الزخرف ٢٣

فهمنا أن الوثنية [1] بمعناها العام ، هي عبادةُ المخلوقاتِ ، من أرواح وجن وملائكةٍ وشياطين [2] ، وأرواحٍ عاقلةٍ مُتَخَيَّلٍ وجودُهـا وحلولُها ، في الاشخاص أو الحيوانات أو الجمادات العلويّة والسفلية .

وفهمنا أن الإشراك ، هو أيضاً عبادةُ المخلوقات ، مع الاعتقاد أنها آلهةٌ صغرى فقط . وأن عبادتَها تقرب الى اللهِ الذي هو في نظرهم كبيرُ الآلهة « ألاَ لِلهِ الدِّينُ الخالصُ ، والذين اتّخذُوا من دونِه أولياءَ ، مـا نعبدُهم إلا ليقربونا الى

(١) ان بلاء الانسانية وتمزيقها ، واختلاف اديانها ، ناشيء من الوثنية والاشراك ، لذلك تجد حملات الاسلام عليها عنيفة جداً . وقد اعتبر الاسلام البشر ثلاث اصناف : —

الاول — اهل الكتاب كاليهود والنصارى .

الثاني — اهل شبهة كتاب ، وهم الذين ليست لهم اديان سماوية معروفة ، بل يشتبه انهم كانوا في الاصل اهل كتاب ، لتقادم عهود الكتب التي بـين ايديهم ، كالصائبة عبدة النجوم ، وهؤلاء شملتهم انسانية التعاليم الاسلامية ، فالحقوا في حسن المعاملة والجـوار الحقوق باهل الكتاب .

الثالث — الوثنيون والمشركون وهم اهل النحل .

(٢) عبد اليزيديون الشيطان خشية شره ، وهم يسكنون لواء الموصل وشمال حلب ، وفيهم رجال تعمقوا في الدراسة فرجعوا الى روح الاسلام كما هي في القرآن المجيد .

اللهِ زُلفى ، إن اللهَ يحكمُ بينهم في ما هم فيه يختلفون »[1]

وإن اعتقدوا أن الله العظيم ، شيءٌ من مخلوقاته ، شأنَ الوثنيين ، التقت الوثنية والإشراك ، وقليل جداً من العرب في الجاهلية ، الذين ظلوا مثابرين على عقيدة سيدنا إبراهيم الخليل — الحنيفية — في تنزيه الخالق العظيم عن أن يكونَ بعضَ مخلوقاته ، أو يشابُهها او تشابهه .

وقد خال بعض صغار المطالعين الأوربيين ، — طبعاً غير المتخصصين في الدراسات الاسلامية ، العاملين على كشف واقع المعرفة — أن في الإسلام وثنيةً وإشراكاً ، لأنهم لم يميزوا علمياً ، بين روح العبادات السماوية ، وبين روح عبادات الوثنيَّة والإشراك .

والمسئلةُ أَنهم نظروا الى مناسك الحج ، ورأوا فيه الطواف حول البيت الحرام ، وتقبيل الحجر الأَسود ، والسعيَ بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفات ، والتجرد من لبس المخيط ومنع الترفه ، والحِلّ والحرم ، والصلاة في مقام إبراهيم . فقالوا . إن الاسلام ، يشتمل على الوثنية وضربوا لذلك

---

(١) الزمر ٣

أمثالا من عبادات الوثنين والفيتيش ، وما هو مشهودٌ قديماً في أساطين الرومان واليونان والصين .

ولو أنّهم فرقوا علمياً ، بين روح العبادات السماوية ، التي فرضها اللهُ في الوحي على الناس ، وبين روح العبادات الوثنيّة ، التي اخترعها البشر ، لعبادة آلهتهم ، كما اوضحناه في بحث « عبادة الخالق وعبادة المخلوق لما تاهوا عن واقع المعرفة ، واتّهموا الإسلام ــ عدوّ الوثنيّة اللدود ــ بالوثنيّة !! وأين ؟! في أقدس مقدساته .

صدقوا : البيتُ الحرام الذي يطوفُ حوله الحجاج ، « هيكل مربّعٌ مشيَّدٌ بالاحجار » لا بالعسجدِ واللجين . والحجر الاسود الذي يقبلونه « حجرٌ مستدير » . والصفا والمروة اللذان بينهما المسعي « صخرتان » . ومقامُ إبراهيم الذي يتسابقُ الحجاج للصلاة فيه ، « قطعة من الارض » وعرفات التي هي موطن الاجتماع العام ، لكل الحجاج « سهل فسيح » وزمزم « بئر بجانب البيت » .

ولكن العبادة لم تكن إلا لله وحده ، والبركات التي تنزلُ من السماء ، لم ينزلها أحدسواهُ تعالى جَدُّه ، يَمُنُّ بها على من

يشاء من خلقه : من مكان كالمساجد الثلاثة ، وكلِّ مواطنِ العبادةِ والطاعة . أو زمان كليلة القدر، والليالي العشر الاولى من ذي الحجَّة . أو أشخاصٍ كسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي جعل الله رسالته عامّة شاملة ، الى يوم القيامة ، والرّسلِ والأنبياء قبله ، صلوات الله وسلامه عليهم

ومفهومٌ من أدنى اطِّلاع ، على النصوص الاسلاميَّة القطعية ، أن الطواف لم يكن للبيت ، وتقبيلَ الحجر الأسود لم يكن له ، والسعيَ بين صخرتي الصفا والمروة ، لم يكن لهما والصلاةَ في مقام إبراهيم ، لم تكن لإبراهيم أو مقامهِ(١)

(١) رأى البعض أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، قام عابدا لله في كل مواطن الحج ، عرفات مزدلفة منى المسجد الحرام – فمقامه الذي طلب الله الينا الصلاة فيه، هو كل هذه المواطن . ورأى آخرون ، أن المقام هو المكان المعين حيال البيت الحرام لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولشهرته المتوارثة بين العرب وسواء اكان هذا أم ذاك، فمقام ابراهيم ، حقيقة كائنة في مناسك الحج ، والا كان الطلب عبثاً . وليس المقصود عبادة المقام أوابراهيم – حاشا ان يكون ذلك في الاسلام – بل المقصود الاهتمام بمواطن عبادات رسل الله العظام ، وذكرى ضراعاتهم لله تعالى ، وحسن توجههم اليه ، وعظيم اخلاصهم له ، وكثير ذكرهم ، وكبير ثقتهم به ، لما تشتمل عليه الذكريات ، من صدق الاسوة بهم ، والجد في محاربة الوثنية والشرك محاربتهم . لتصح الاسوة المطلوبة من الله تعالى بهم وتتم القدوة « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه » . والاسوة الحسنة برسل الله ، هي في الواقع ذكرى اعمالهم الصالحة التي منّ الله عليهم بها وجعلها قدوة للناس . « ورفعنا لك ذكرك » « واجعل لي لسان صدق في الآخرين »

بل كلُّ ذلك عبادة لله تعالى، وحده لا شريك له فيها بتاتاً.
وكلُّ البركات التي في المسجد الحرام او في ماء زمزمَ أو في مكة
وفي كلِّ المشاعر المقدسة، أو في المسجد النبوي، أو في المدينة
المنوّرة، وفي كلّ مساجد رسول اللهِ وذكرياته. أو في رسول
الله نفسه، الذي جعله الله رحمةً للعالمين، وفي آل بيته الأطهار،
وأصحابه الأخيار، وكل المؤمنين الأبرار. إلى يوم القيامة.
لم يُنزِلها أحدٌ سواه سبحانه وتعالى. وأنّما الذي يجعلنا خليقين
بها وأهلًا لها، هو صدقُ الإيمان وحسنُ الاتّباع، والتقيُّد بما
جاء في الوحي مِنَ الله «ولو أن أهْلَ القُرى آمنُوا واتّقوْا،
لَفتحْنا عَلَيْهِمْ بركاتٍ مِنَ السَّماء والأرضِ»[1].
ولم يقلْ للناس خاتم الأنبياء، ولا الرسُلُ قبلَه: «إن البركات
التي ترونَها تصيبُ بعضَ أمكنتكم وأزمنتكم وأشخاصِكم
بسببِ أنهم رسالاتِ الله، التي جعلَنا واسطةً لإبلاغِها، إنما
نحن الذين أنزلناها وأفضْناها، فكونوا عباداً لنا». بكلِّ
تأكيدٍ لم يقولوا ذلك، وكيف يقولون ذلك، وهم أمناء
الله على إبلاغ وحيه؟ هذا محال. ومن زعم أنهم قالوا ذلك

(١) الاعراف ٩٦

تصريحاً أو تلميحاً ، فقد كفر بهم ، وبما أنزل الله عليهم من دين :

« ما كان لِبَشَرٍ أن يُؤْتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ، ثم يقولُ للنَّاسِ كونوا عِباداً لي مِنْ دونِ اللهِ . ولكنْ كونوا ربَّانيِّين بما كنتم تَعلِّمونَ الكتابَ ، وبما كنتُم تَدْرُسُونَ »[1]

والعبوديّةُ لله تعالى ، هي الشرف الأعظم لكل أهل السموات والارض ، بل لكل مخلوق على الإطلاق « إنْ كُلُّ مَنْ في السَّمَاواتِ والأرضِ ، إلاّ آتي الرحمنِ عَبْداً »[2].

على أنَّ العبادةَ لا تكون وثنيَّةً إلا بأحد أمرين .

١ — إما بتوجيهها الى غير الخالق العظيم .

٢ — وإما بعد طلب الخالقِ العظيم لها .

والطَّوافُ حول البيت الحرام ، وتقبيلُ الحجر الأسود ، والسعيُ بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفات ، ورميُ الجمار ، والصلاةُ في مقام إبراهيم وسوى ذلك مما هو مطلوبٌ أن يكون في الحرمين الشريفين ، سلباً أو إيجاباً ، هي عبادات مطلوبة بالوحي القطعي ، ومُتَوَجِّهَةٌ الى الله تعالى فضلًا عن سابق وجودها في الحنيفية دين إبراهيم .

---

(١) آل عمران ٧٩ (٢) مريم ٩٢

وأين هيَ من الوثنيّةِ . ورسولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلّم ، ينادي النَّاسَ جميعاً ، على أيفاعِ هاتيك المشاعر المقدسة « إنّما أُمِرتُ أنْ أعْبُدَ ربَّ هذه البلدةِ الّذي حرّمها ، وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَأُمِرتُ أنْ أكونَ مِنَ المسلمين »[1] .

أين الوثنيةُ ؟ وليس في المسلمين شخصٌ واحد ، يعتقد أن الله دوح عليا ، يحل في البيت الحرام ، أو في الحجر الأسود ،[2]

---

(١) النمل ٩١

(٢) الحجر الأسود ، هو علم للطائفين ، يبتدأ منـــه الشوط واليه ينتهي ، الى آخر الاشواط السبعة . ووجوده ضروري لتنسيق الطواف خشية الفوضى ، شأن كل عبادة . ورسول الله صلى الله عليه وسلم قبله ، لأن الله باركه . وما باركه الله ، لا يستطيع البشر ان يهدروا بركته ، وليس معنى ان الله باركه ، انه يحي ويميت وينفع ويضر ، نعم في تقبيله بركة للمقبل من الله سبحانه وتعالى ، وهي نفع بلا ريب ، ولو لم تكن نفعاً لكان تقبيله عبثاً ، وليس في الاسلام شيء من العبث .

وقد تخوف سيدنا عمر في ابتداء الاسلام ، ان يختلط على المقبلين الأمر ، بين العبادة الوثنية التي حاربهـــا الاسلام ، وهي اعتقاد النفع والضر في عين الاشياء بالذات . وبين العبادة الاسلامية ، التي تجعل النفع والضر في الاشياء . كخلق الاشياء نفسها ، من الله ، اذ ليس معقولا ان الله يخلق الشمس بقصد الاضاءة مثلا ، ثم يكون الامر مفوضاً اليها ، ان شاءت أضاءت ، وان شاءت لم تضيء ، بل لا بد من الاضـاءة ، كما أودع الله ذلك في طبيعة خلقها ، ولا يستطيع ان يمنع الاضاءة احد سواه سبحانه وتعالى . لذلك كان اذا جاء سيدنا عمر رضي الله عنه ، ليقبل الحجر الاسود ، ورأى الناس مزدحمين حواليه ، ينادي بأعلا صوته « اني أعلم انك حجر لا تنفـــع ولا تضر ، ولولا اني رأيت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، لما قبلتك » وواضح انه يقصـــد النفع والضرر الوثنيين الذاتيين ، لا البركة التي تشمل المقبل من الله تعالى ، كما اوضح ذلك سيدنا علي كرم الله وجهه .

أو في مقام إبراهيم ، أو في صخرتي الصفـا والمروة ، أو في عرفات ، أو في المساجد الثلاثة ، تعالى اللهُ عن ذلك عـلواً كبيراً .

وإن كانت في نظرهم وثنية ، لأجل أوضاعها و كيفيَّاتها ، إذن ، فكلُّ الأديان السماوية وثنيَّة ، لأنَّ فيها أشباهَ هاتيك الأوضاع والكيفيات ، وهل العبادةُ أيًّا كانت ، سوى ألوان من الاوضاع العملية ، تصاحب العقائدَ القلبية ؟ .

وإن كانت في نظرهم وثنيَّةً ، لأنها عباداتٌ حـولَ الأحجار أو في الهيا كل ، أو في السهول والأوديـةِ ، إذن فكلُّ الأديان السماوية التي أوحاها اللهُ إلى رسله وثنيةٌ لأن عباداتِها لله حولَ الأحجار أو في المعـابد ، أو في السهول والأودية ، بل وفي المغاور والكهوف . اذ ليس في مقـدورنا — نحن البشر — أن نطيرَ إلى الفضاء بعيداً بعيداً ، حتى لا نرى الأحجار ولا الاحجار ترانا ، لنعبدَ اللهَ هنالك ، حيث الإنطلاقُ والفراغُ مِنْ كل الاثار ، لا لا ، لا بُدَّ من الامكنةِ للعبادة سواءٌ أكانَتْ مشيَّدةً أم غيرَ مشيدة ، لأنَّنا بشرٌ مَشدودون بجاذبيةِ الارض ، والمناسكُ لا تَخْلو منها أمةٌ مِنَ الامم ،

التي أوحى الله إليها «لِكُلِّ أمةٍ جعلنا مَنسكاً هم ناسِكوه»[1] ويكفي أن نعبد الله ونحن نتلو بخشوع «وأن المساجدَ للهِ فلا تدعوا مع اللهِ أحداً»[2]

على أن حقيقة الوثنيَّة، لا تقوم في الاحجار، ولا الاشخاص ولا الاشجار، ولا المياه، ولا الحيوانات، ولا النيران، ولا الهياكل، وما ذنبها هي إذا عبدها البشر الحمقى من دون الله الخالق العظيم، وإنما تقوم في القلوب المعوجة الجاهلة، التي تتخيل أن الله روح، تحل في هاتيك الاشياء، فتعبدها من دونه سبحانه وتعالى.

وأيُّ شيء يضيرني، إذا انا وقفت عابداً لله تعالى، والاحجار تطيف بي من كل جهاتي؟! ما دام قلبي متوجهاً إليه وحده، معتقداً أنه الواحد الازلي، الذي خلق كل شيء، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وأن عوالم الوجود الروحية والمادية، إنما تقوم بقدرته وسلطانه وقهره، يصرفها وحده كيف يشاء.

وماذا ينفعني اذا وقفتُ عابداً لله تعالى، في أبعد الآفاق:

---

(١) الحج ٦٧ (٢) الجن ١٨

في الفضاء المطلق السافر، بعيداً عن الأشباح والصُّوَر والشخوص، وأنا أعتقدهُ - تعالى الله عن ذلك - روحاً حالّةً في تلك البقرة، أو ذلك الثّور، أو في ذلك الانسان، أو هذا الحجر، أو في بعضِ الوجود أو في كلِّه، الا ريبَ أنّهُ لا ينفعني الفضاء ولا الوحدةُ. بل أنا أعبدُ نفسي مِن حيث لا أدري، «أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ، وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟» (١)

ومن عبدَ نفسَه خسِرَ ٱللّهَ، ومَنْ خسِرَ ٱللّهَ فقد خسر كلّ شيءٍ، حتى نفسَه التي بين جنبيه «يا أيها النّاسُ، ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا لَهُ، إِنَّ الّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّهِ، لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ، وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطّالِبُ والمَطْلُوبُ» (٢)

---

(١) الجاثية ٢٢

(٢) الحج ٧٣

لا خلاف بين العلماء في أصول العقائد والتشريع

تخيَّل بعضُ الدارسين، الذين لم يتصلوا بالدراسات الاسلامية بسبب متين، أنّ بين علماء الإسلام خلافاً في أصول العقائد والتشريع الأسلامي. والواقع أنَّه لا خلاف أبداً في هذين الأمرين.

١ — هل من خلاف في أن الله الخالق العظيم: «هو واحدٌ أزليٌّ، مالك كل شيء وبيده أمرُ الخلائق وتصريفها، وهو المستعان في أمور السموات والارض، ولا مستعان سواه؟».

٢ — هل من خلافٍ في أن خاتمَ الانبياء والمرسلين، هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أرسله الله على فترة من الرسل، لإخراج الناس من ظلمات الوثنيات والإشراك، والأَثرات والتِّرات وأحقادها، الى أضواء الإيمان بالخالق العظيم والتسامح والإخلاص والإيثار ومودّاتها. وفي أن الإيمان به لا يتم، إلا إذا اقترن بالإيمان باخوانه، النبيين

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

٣ ــ هل من خلاف في أن القرآن المجيد ، هو وحي الله المعجز ، المشتمل على جميع البينات العلمية القطعية ، الدالة على أنه وحي الله المعجز ، وفي أنه معصوم من الزيادة والنقصان ، والتقوّل والافتئات ، وفي أن عصمته معطاة من الله تعالى ، ولها كل الدلائل من واقع المعرفة ، أنها معطاة من الله تعالى . وفي أنه وصل إلينا بحالته التي هو عليها الآن ، من طريق التواتر العلمي القطعي ، المتتابع بالتلقين والتلقي ، والحفظ والعناية التامة ، من عصر صاحب الرسالة الى عصرنا هذا . وفي أنه فذّ بين كتب السماء ، في هذا التواتر العلمي القطعي ، الذي يعطي المجامع العلمية ، ودوائر المعارف الوثوق واليقين ، في أن الأخذ بنصوصه ، لم يكن من قبيل المجازفة بالظنيات ، ذات المسئوليات الكبيرة بين يدي الله عز وجل ، لدى المعاملات في إجراء الأحكام على العباد ، في صدق الايمان وكذبه ، وما لهم وما عليهم ، وكل حقوقهم ، العامة والخاصة . وبالحري إذا اتصلت بالدماء « يا لطيف » . وأنه خاتم الكتب السماوية ، المشتمل على عين العقيدة ، التي أوحاها

الله الى الرسل من قبل ، وامرهم بتبليغها ، لان حقيقة الذات الإلهية ، دائماً ابداً ، هي هي ، لا تتغير ولا تتبدل ، من قبل خلق العوالم ومن بعدها .

٤ — هل من خلاف في شيء من أصول العقائد : من بعث وحشر وجنة ونار وملائكة .. أو في شيء من أصول التشريع من صلاة وصوم وزكاة وحج ... لا لا .. لا خلاف في شيء من ذلك أبداً .

ويأبى اللهُ إلا أن يكون وحيه معجِزاً ، من كل وجه ، وفي كل عصر ، فتجد فيه كل الحصانات الواقية ، لئلا تتسرب إليه أوباء الافكار الهدّامة ، التي تضع الجهل موضع واقع المعرفة. فتجد فيه : حصانة لحفظ نصوصه ، وحصانة لطريق إثبات نصوصه ، وحصانة لدرء الاختلاف عن نصوصه ، وحصانة لكيفية الاخذ من نصوصه :

١ — حفظ نصوص الوحي

أنزل اللهُ وحيَهُ وِفاقَ كلِّ الحاجاتِ والتطوّرات ، وشتّى الظروف والمناسبات ، في كل العصور والاجيال ، وما دام الامر كذلك ، فلا بد من حفظه كما أنزل ، حتى لا تضيع

اسرار إعجازه ، وخصائص العصور والاجيال المودعة فيه .
وقد تكفل الله بحفظه من اجل ذلك : « إِنَّا نحن نَزَّلنا الذِكْرَ وَإِنَّا له لحافظون »(١)

وهذا الحفظ ضرورة أكيدة ، لان نقصان كلمة او حرف ، او زيادتها ، تنحرف بحقيقة الوحي عما أنزلت لاجله ، وفي انحراف حقيقة الوحي من البلاء ، ما هو فادح بعمق . وكم من فتن ، وكم من خلافات ، وكم من حروب ، وقعت بين أبناء الامم السالفة . لا لشيء سوى أنهم لم يحفظوا نصوص الوحي كما أنزلت إليهم . ومع أن الحفظ مكفول من الله عز وجل ، فإننا نجد النصوص التي أنزلت ، لتقطع الايدي التي تمتد في جنح الظلام وفيرةً . وحسن النيَّة وسوءها سيَّان هنا . ولعل الكلمة التي تزاد أو الحرف أو الحركة بحسن نية ، تنحرف بحقيقة الوحي ، فتخرج جيلاً من الايمان ، وهي محاولة شيطانية لا تنال ، لان الشيطان هو الذي يأمر بتغيير الوحي الإلهي « قل إنَّما حرم رَبِّيَ الفواحِشَ ما ظَهَرَ منها وَمَا بَطَنَ ، والاثمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحقّ ، وأَنْ تُشرِكُوا باللّهِ مَالم يُنزِّل بهِ سلطاناً ، وَأَنْ تَقُولوا على اللّهِ ما لا تعلمون »(٢)

---

(١) الحجر ١٠ (٢) الاعراف ٣٣

ولا ريب أن أخذ الله لمن يجرأ مفكراً في هذا الامر ، سيكون شديداً في الدنيا ، فضلاً عن أخذه في الآخرة « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ . فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . (١)

٢ – طريق اثبات نصوص الوحي

إن الاخذ بالنصوص الظنية ، في اصول العقائد والتشريع ينتج البعد عن مقاصد الوحي الاساسية ، وما دام العلماء يرفضون الوحي بالظنون في المادّيات ، ويرون ذلك تغريراً غير مأمون النتائج ، يخالف الامانة العلميَّة ، ولا يرضون إلا بواقع المعرفة ، فكم من الامانة العلمية ، بل من الإيمان بالله الخالق العظيم ، أن لا نأخذ بالظنون في الروحيّات ، والإنسان روح من قبل أن يكون مادّة .

ولا يضرّنا أن أهل النحل ، يعرضون عن النصوص العلمية القطعية ، ويأخذون بالنصوص الظنيَّة ، بل لا يفرقون بينهما « وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ

---

(١) الحاقة ٤٤ – ٤٧

ٱلحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » [1]

« وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ، يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » [2] « وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ، وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً » [3]

٣ ـ لا اختلاف في نصوص الوحي

أنزل الله نصوص وحيه ، صافية صفاء السَّماء خالية مِنْ كل اضطراب واختلاف . وهذا آية إعجازه « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ ؟ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ ، لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً » [4] ولو وجدوا فيه أثارةً من اختلاف ، لقامت قيامة الدنيا وقعدت .

ووجودُ النِّحل ، التي دسها الدساسون على الاسلام ، لَيْسَتْ بحجَّة على القرآن ، بل القرآن هو الحجة عليها [5] .

ويكفينا نحن أن نفهم ، أنَّ الاختلافَ في أصول العقائد

(١) يونس ٣٦ (٢) الانعام ١١٦ (٣) النجم ٢٨ (٤) النساء ٨٢

(٥) راجع للتعرف بالفرق المدسوسة « كتاب الفرق بين الفرق » والفصل والملل والنحل .

والتشريع، مُحَرَّمٌ في الاسلام قطعاً، وهو الكفر الذي ما بعده كفر، ولن تجد تقريعاً في آيات الله، وتهديداً أهولَ من التهديد، الذي وُجِّهَ إلى الذين يختلفون في نصوص الوحي، ظلماً وعُدواناً، ليعطوا عنه صورة سيئةً، تجعلُ النّاس ينصرفون عنه، ويسخرون منه، ويرونه شيئاً تافهاً « ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ بالحق وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا في ٱلْكِتَابِ لَفِي شقاقٍ بَعِيد » (١) « وَلَا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُم البَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عظيم » (٢)

وبلاء الاختلاف في نصوص الوحي الإلهي، ما بعده بلاء، ألا ترى أنه أفضى بقوم موسى إلى عبادة العجل، وردهم إلى الوثنية في السامرة ثمانية قرون.

والاختلاف في نصوص الوحي، غير الاختلاف الطبيعي، النّاتج عن حرية الاختيار « وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » (٣). ومحالٌ أن يكونَ في نصوصِ القرآن خلافٌ

(١) البقرة ١٧٦ آل عمران ١٠٥ (٣) يونس ١٩

وهو الذي أنزل ليحسم كلّ خلاف «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[1]

والاختلافُ في اصول الدين، الذي هو نِقمةٌ، غير الاختلاف في فروعه الذي هو رحمة.

وقد جاء في كتاب «الفَرْق بين الفِرَق» «إن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام، على قولين، أَحدهما تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه، وفِرَقُ الفقه كلُّها عندهم مصيبون.

الثاني تصويبُ واحد من المختلفين، وتخطئةُ الباقين من غير تضليل منه المخْطِىء فيه»[2]

لأنّ الفُسحةَ التشريعيَّةَ في الفُروع، هي من مقاصد أصول الدين. وعلى كل حال، فالأخذ بنصوص الكتاب والسنة هما رائدُ الجميع، وهما مقدمان على كل حال...

٤ - اخذ العقائد والتعاليم من نصوص الوحي

كلُّ نصوص الوحي ثابتة بالعلم القطعي، أيْ التواتر، ولما كانت بعضُ نصوصه متشابهةً، لأنها تتناول الغيوبَ

(١) النحل ٦٤ (٢) «راجع الفرق بين الفرق» ص ٦

التي لم يحطِ العلمُ الانساني بمدلولاتها ، أنزل اللهُ النصوص المحكمة لتكونَ منائر تهدي التائهين ، خشيةَ الضلال والإضلال ، « هُوَ ٱلذي أَنزَلَ عليكَ ٱلكِتابَ ، مِنهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ ، هُنَّ أُمُّ ٱلكِتابِ ، وَآخَرُ مُتَشابِهاتٌ ، فأمّا ٱلّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ ٱلفِتْنَةِ ، وَٱبْتِغاءَ تأْويلِهِ ، وَمَا يَعلَمُ تأوِيلَهُ إلا ٱللّهُ . وَٱلرّاسِخُونَ في ٱلعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ . كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبّنا ، وَمَا يَذَّكَّر إلّا أُلُوا الأَلبابِ »(١)

وقد نشأ مِن سياقِ تلاوةِ الآية توجيهان :

الاول : ــ توجيه السلف ــ ولو كانوا معاصرين ــ وهو الوقوفُ عند قوله تعالى « وما يَعلَمُ تأويلَه إلا اللّهُ ». وما بعده استئنافُ كلامٍ جديد ، ويقولون : « ما دام علمُ الله قد استأثر بعين مدلولاتِ النصوص المتشابهة ، فلا ينبغي أن نخوضَ في تأويلها ». أي لا ينبغي أَن نقولَ في مثل قوله تعالى : « يَدُ ٱللّهِ فَوقَ أَيدِيهِمْ » إنَّ مراد الله ، قدرتُه فوق قُدرتهم ، لأَن مرادَ اللّهِ بالذّات مجهولٌ

(١) آل عمران ٧

لنا [1] لم يعينه، فتعييننا له مجازفة. إذ لله صفاتٌ كثيرة، له العلم الذي يشتملُ على كيفيات لا تحصى لخلق الاشياء، وله الإرادةُ التي تخصص كيفيات بعينها، وله القدرة التي تبرز إلى حَيّز الوجود، ما خصصته الإرادةُ. على أن الخالق العظيم له من صفات الكمال التي تنطق بها مخلوقاته، ما لا يدخلُ تحت حصر. فكيف نُعين مرادَه بهذه الصفةِ دون تلك. فالأَولى أن نفوضَ الأَمر إليه سبحانه وتعالى.

والسلفُ بضرورة الحال، لا يجيزون إطلاقَ الكيف

---

(١) لا يفهم من معنى ان مراد الله مجهول، ان الكلام لغو - حاشالله - فالمعاني الرمزية التي تعطيها النصوص المتشابهة، هي معجزة كل الاعجاز، لما تشتمل عليه من اعماق بعيدة، خذ مثلاً (يد الله فوق ايديهم) وتصور جميع المخلوقات، وتصور جميع ما يأتونه من مدهشات الاعمال، بادوات إمكانياتهم، التي خلقها الله لهم، كالأيدي بالنسبة للبشر، والاجنحة للطير، تدرك حالا اسرار عمق الاعجاز الذي يعطيه معنى النص المذكور. اجل تفهم أن مدى امكانيات الله التي لا تماثلها ادوات امكانيات المخلوقين في شيء، هي مهيمنة على جميع ادواتهم في كل العوالم، ومتصرفة فيها بكل ما تشتمل عليه لفظة الفوقية، بالنسبة لسلطان الله، الذي يمثله قوله تعالى:

« إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

ومن هنا نفهم على ضوئها هذه النصوص (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (بل يداه مبسوطتان) (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) وجهلنا عين مدلول النص المتشابه كما رأيت، لا ينقص من جلال المعنى الذي يعطيه من شيء

الحادث المفهوم من النص على الله، وهم يعلمون أنه غير مقصود قطعاً، والقولُ به كفر، لأن لديهم نصوصاً محكمة تمنع ذلك بتاتاً «لَيسَ كَمِثْلِهِ شيء وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ»[1]: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً»[2]: «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ، أَفَلَا تَذَكَّرُون» «قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ، اللهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحدٌ».

وما أعظم قَول إمام دار الهجرة، مالك بن أنس، حين سئل عن مدلول قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى» «الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة...» ومقصوده أن الكيف الحادثَ المعلوم من اللفظ، غيرُ مقصود والكيف المقصود منه مجهول هنا، ولا حق لنا أن نعينه بصفة من صفات كمالات الله التي لا تتناهى، كاستيلاء القدرة أو الإرادةِ أو العلم أو سوى ذلك، الأَسْلَمُ لديننا وإيماننا أن نقولَ: «الله أعلم بمراده» فمذهب السلف في منتهى الحكمة والاحتياط والخير، يكفي أن فيه حسماً للقال والقيل، والخوض في صفات الخالق العظيم، بما لا يليقُ أن

(١) الشورى ١١ (٢) طه ١١٠

يخوض فيه البشر، أو مما لا يدخل في مجال تصوراتهم، وإحاطة معارفهم. وهم تخوفوا إذا فتحوا باب التساؤل في المتشابهات أن يجرهم ذلك إلى الوقوع في أحد أمرين :

١ — إما في أمر المشبهة من الوثنيين الذين يعتقدون أن الله روح كبرى، تأخذ صورة إنسان، فاليونان القدماء صوروه « أزرق العينين أشقر الوجه . والزنوج صوروه أفطس الأنف غليظ الشفتين » .

٢ — وإما في أمر المعطلة، الذين ينفون عن الخالق صفات الكمال، كالسمع والبصر والكلام والعلم بالجزئيات »[1]

الثاني : - توجيه الخلف - ولو كانوا من رجال العصر العصر العباسي — وهو العطف، أي عطف قوله تعالى : « والراسخون في العلم » على قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » واعتقدوا أن للراسخين في العلم مجالا في تأويل النصوص المتشابهة وتعيين المراد . هذا الاعتقاد هو الذي جعلهم يخوضون في تعيينها، وقد تخوفوا ما تخوفه السلف، من أن يأتي أهل

---

(١) لو شاهد هؤلاء ما ظهر في عوالم الذرة الدقيقة من مدهشات، وما فيها من عجائب لأسفوا لتسرعهم وتلوا قول الله تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

الزيغ والضلال، فيصوّروا الخالقَ العظيم، بصفاتِ آلهتهم المعبودة، من الأرواح. فإذا سُئلوا عن قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ ونعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، ونحن أقربُ إليه من حَبْلِ الوريد»[1] فإنهم يُجيبون حالاً، أقربُ بقدرته وعلمه وسلطانه، لا بذاته. يجيبونَ بذلك خشيةَ أن يتسرب إلى النَّاسِ، عقيدةُ أن اللهَ روحٌ عامّة حالّة في الكون، وأن قُربَه من مخلوقاته، قربُ امتزاجٍ وحلولٍ، كقُرب كل روح.

وهكذا نجدُ السلفَ والخلف ينتهيان إلى غاية واحدة هي تنزيهُ الله عن مشابهةِ مخلوقاته، أو مماثلتِه لها، وإن كان مذهبُ السلفِ أضمنُ لراحةِ الخاطر، وأسلمُ للإيمان.

٦ – النصوص المتعادلة

ألا إن طريقَ السعادة الأبدية – هي العقائدُ الصحيحة – والعقائد لا تكونُ صحيحةً، إلا إذا كانت عَيْنَ ما جاء به الوحيُ عن الله. وطريقَ الشقاء الأبدي – هي العقائد الفاسدة[2] – والعقائدُ لا تكون فاسدةً، إلا اذا كانت مخالفةً

(١) ق ١٦

(٢) مع العقائد الفاسدة لا يستقيم حج ولا زيارة، ولا شيء من الاعمال، لذلك كان فهم العقائد الصحيحة مقدماً على كل شيء في الوجود، بل هو أثمن من كل شيء في الوجود.

ما جاء به الوحي عن الله، ولا شيء أثمن في الوجود، من كشفِ واقع المعرفة، في العقائد والتشريع، لأنَّ صحةَ العقائد والتشريع، تتوقّفُ عليها السعادة الأبدية.

والجهادُ في سبيل درسها، وكشفِ حقائقِها، هو جهادٌ في الله: أيْ جهادُ النفسِ لمعرفةِ الله، وهو اسمى انواع الجهاد «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»[1]. ولا شيء يُنئي بالعقائد عن حقيقتها، ويُشرِّقُ بها ويغرِّبُ، مثلُ الإنحرافِ عن التأسي الصادق برسولِ الله: في أعماله وأقوالهِ وتقريراته، من غير زيادةٍ أو نقصان أو ريبةٍ أو إنكارٍ، لذلك رأيتُ من الواجبِ قبلَ إنهاء القول في خلاصةِ العقيدة باللهِ الخالقِ العظيم، أن أعرضَ شيئاً من النصوصِ المتعادلة، لِما لها من كبير الأثر في الإسلام.

وَشأنُ النُّصوص المتعادلة في التشريع، كشأنِ المتشابهاتِ في العقائد. كلاهما ينحرفان بالمطالعين عن واقع حقيقتهما. إذا لم يكونوا من الراسخين في العلم، وفعلاً حين لمحها بعضُ المطالعين — المحدودين — أعلنَ مستعجلاً: أنَّ بينَ النُّصوص

(١) العنكبوت ٦٩

الاسلامية نصوصاً متماكسةً متضاربة ، لا تعطي الناس سوى التنافرِ ، وتمزيقِ ذاتِ البين » أي استعجل فأعلن الجهل ومهما يكنْ للجهل من قيمةٍ في الأنفس المريضة الخفيفة ، فإنه لا يستطيع أن يهدمَ إكبارَ واقع المعرفة ، في أنفس العلماء.

والمسألةُ هي أنه رأى بين النصوصِ الإسلامية «النصوصَ المتعادلة» ولم يفطنْ أنها نصوصٌ ، لها أسرارُها ، ولها غاياتُها ، ولها إعجازها . وأنَّ وُرودَها على الحال التي لمحها عليه ، مقصودُ للمشرع ، لتكونَ أداةَ الإصلاح والتوسطِ ، في المسائل ذات الوجهين ، التي يعالُجها المصلحون ، حسب الأوضاع. والمقتضيات والبواعث .

ولْيأخذِ القارئ مثلاً ، هذه النصوص التي تدل على عدم وجود العدوى وتنفيها ، « لا عدوَى ولا طِيَرةَ ولا هامةَ ولا صَفَرَ »[1] « فمن أعدى الأول[2] ? » وثبت أنه عليه الصلاةُ

(١) الخصائص الموجودة في الاوباء المرضة ، او الادوية الشافية ، التي تفتك بها هي من خلق الله ، والمقصود هنا نفي العدوى الذاتية كنفي الاحراق الذاتي عن النار ومفهوم لولا ان الله خلق خصائص الاحراق المودعة في النار ، لما كانت محرقة ، فهي به أحرقت وبه تستمر محرقة ، وهذا حال العدوى في الاوبئة ، بل حال كل اشياء الوجود .

(٢) اي فمن اعدى الاول بالوباء من غير انتقال من آخر اذن فالله خلق الاوبئة واودع فيها خصائصها ، كما خلق المناعة الجسدية في بعض الاجساد ، دون بعض ، لحكمة يعلمها تعالى

والسلام ، « أكل مع المجذوم .. »[1]

وأما النصوص التي تدل على العدوى فكثيرة ، منها قوله عليه الصلاة والسلام للمجذوم الذي جاء لمبايعته : «إرجع فقد بايعناك » . ومنها : « إذا سمعتم به ــ الطاعون ــ بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بارض فلا تخرجوا »[2] ومنها : « عودة عمر بن الخطاب ، ومن معه الى المدينة ، حين بلغه انتشار وبأ طاعون عمواس في الشام بعد أن شارف تبوك » .

وليس المقصود من هذه النصوص أن يختلف الناس ويتشاءموا ويتنابذوا ــ حاشا أن يكون ذلك مقصوداً ــ بل المقصود أن يكون المؤمن وسطاً ، يفهم أنه لا ينبغي أن ينغمر في مخالطة المريض ذي المرض المعدي ، كالسل والتيفوئيد والطاعون ، وهو لا يعلم طرق الوقاية ، وفن التمريض ، ولا يعلم هل لديه الحصانة الواقية أم لا ، سواء كانت بوسائل التطعيم ، أو بالمناعة الجسمية ، كما يفهم أنه لا ينبغي أن يبتعد عن المريض كل البعد ، ويهجره ، ويخشى العدوى من

(١) لما كانت الحصانة من الامراض المعدية والمنفرة ضرورة في كل الرسل والانبياء أكله.
(٢) راجع صحيح البخاري ٧-٢١ والموطأ ٤-٧٧

الخيال الطائر ، والوهم السارح ، فيعيش قلقاً موسوساً .

والنصوص المتداولة يعالج بها الأئمة المصلحون أمراض النفوس المختلفة ، معالجة الأطباء بالأدوية ، أمراض الأجساد المختلفة .

فهم إذا رأوا في الناس مخافة من الأمراض المعدية ، اثناء انتشارها ، وفراراً من المرضى ، وانزعاجاً في أنفسهم وقلقاً ، على الرغم من اتخاذ الوسائل الفنيّة الواقية ، أهابوا بهم ، الى النصوص التي تعطي الطمأنينة والثقة بالله ، ليطمئنّوا ويثقوا ، لأنّ الأوهام ، تفتك بالأنفس ، أشدّ مما تفتك بها الأوبئة .

وإذا رأوا في الناس جهلاً وسذاجة وانغماراً في مخالطة ذوي الامراض المعدية ، بغير مبالاة بعواقب الأمور ومسؤولياتها ، تراهم يؤاكلونهم ويشاربونهم ، ويختلطون بهم كلّ الاختلاط ، والعدوى تسري بينهم ، وتفتك بالذين يفقدون الحصانة الجسديّة أو الحصانة الطبيّة ...

فحينئذٍ ينادونهم بالنصوص الأخرى ، ويجهرون في النداء ليكفوا من استهتارهم بالعدوى ، وليكونوا حذرين . أيقاظاً يعرفون واجبهم العمليّ تجاهها .

والخلاصة أن النصوص المتعادلة ذات الوجهين . إنما كانت أداة علاج واصلاح ، وهداية لشتى العقائد والنحل والتقاليد والأخلاق والأوضاع المتباينة الشاذة ، التي كانت في عصر صاحب الرسالة . وهي كذلك أداة علاج واصلاح واستقامة وهداية الى يوم القيامة ، ومن الكفر الزعم أنها أداة افساد ومشادة وخصام ، ونسي المسكين أن الإيمان والإصلاح مقترنان . في كل الأديان : « وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »[1] . « لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »[2]

---

(١) الانعام ٨ : (٢) النساء ١١٤

لم تكنْ سيرةُ خاتمِ الأنبياء والمرسلين سيدِنا محمدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه على تتابعِ الأجيال سوى ينبوعِ المُثلِ الانسانية العليا، وأصولِ امجادها الرفيعة، وحضاراتِها التقدمية.

فبمقدارِ ما يكونُ اقترابُ الافرادِ والجماعات منها، يكون اقترابُهم مِنَ التعارفِ والمودّةِ والسلام، والقوةِ والعِزّة والاجتماع والإيثار والتضحياتِ الغالية في سبيل الاصلاح العام.

وبمقدار ما يَبتعدونَ عن سيرته صلى الله عليه وسلم أو يُناكرونها كلّها أو بعضَها، يَبتعِدونَ عن كلّ ذلكَ، أو بعضِه. وقد قامتِ التجاربُ والبراهينُ المشاهدةُ على صدق ذلك، فهذه الانسانيةُ، لمّا أقبلَت بكلِّ إيمانٍ وإخلاصٍ وجد في التأسي به، تعارفَت وتفاهمت وتوحّدت وكرمت واعتزّت، ولمّا أعرضَت تناكرت واختلفت وانحطت وجهلت.

ولا جهلَ أضرُّ على الانسانية ، وأجلب للبلاء والخصومات والاحقاد والفتن والحروب ، من الجهل بروح سيرته ، وبواعث أعماله وأهدافها الانسانية العليا .

نعم معظمُ الناس يعلمون خلاصةَ حياته عليه الصلاة والسلام ... « يعلمون » : —

١ — أنه وُلدَ في مكةَ المكرمة يوم الاثنين ، في شهر ربيع الاول من عام الفيل ، المقابل لعام ٥٧٠ ميلادية من أبوين قُرشيين ، هما عبدُ الله بن عبد المطلب ، وآمنةُ بنت وهب .

٢ — وأنَّ والدَه تُوفِّي شاباً في المدينة المنورة ، قبل ولادته ، وكان عائداً الى مكةَ من رحلة تجاريَّة في الشام .

٣ — وأنه في الرابعة من عمره ، أعادته حليمةُ إلى والدته

٤ — وأنه في السادسة من عمره ، خرجت به والدتُه لزيارة أخواله من بني النجار في المدينة .

٥ — وأنه في هذا العام نفسه ، توفيت والدتُه في الأبواء (مكان بين مكة والمدينة) وهي عائدة به الى وطنها .

٦ — وأنه في هذا العام نفسِه ، أصبح في كفالةِ جدِّه عبدِ المُطَّلِب ، واستمرَّ لديهِ عامين كاملين .

٧ ــ وأنه في الثامنة من عمره أحس جدُّه عبدُ المطلب بدنوِ الأَجل، فعهدَ به إلى ولده أبي طالب، فأصبح لديه موطنَ الرعاية والإيثار والاهتمام، فوق ما كان يرجوه والده عبدُ المطلب منه بكثير.

٨ ــ وأنه في الثانية عشرة من عمره، اصطحبه عمُّه أبو طالب في احدى رحلاته الى الشام. وفي هذه الرحلة شاهده في بُصْرى الراهب «بحيراء» فعرف منه معالمَ النُّبوة، فبالغَ في اكرامهِ والحفاوةِ به، وأوصى عَمَّه برعايته والسَّهرِ عليه.

٩ ــ وأنه في الخامسة والعشرين من عُمره، خرجَ إلى الشام في صحبةِ ميسرةَ غلامِ خديجةَ ابنةِ خُويلد لتجارةٍ لها، وقد تمَّ لخديجةَ الاقترانُ به بعدَ عودته بأشهر، لِمَا أمتعها به ميسرةُ مِن أنباءٍ حسان. عَن فرائدِ خُلقه الكريم وعجائبِ حبِّ الله له.

١٠ ــ وأنه في الخامسةِ والثلاثين من عُمره، يَشهد المناسباتِ التي وطَّأها الله له، ليضعَ بيدهِ الشريفة الحجرَ الاسود، في موضعِه من البيتِ الحرام، على وفرةِ المُتنافسين والمُختصمين من زعماء قريش.

١١ ـ وأنه في الاربعين من عمره أرسله اللهُ رحمةَ للعالمين ، وأنزل عليه وَحْيَهُ وهو في غارِ حراء يتعبد .

١٢ وأنه في التاسعة والاربعين من عمره حُوصِرَ في شِعْبِ أَبي طالب ، ما ينا هِزُ ثلاثَ سنوات .

١٣ ـ وأنه بعد حصاره في الشعب بثمانية أشهر أُصيب برزئين بالغين وفاةِ عمه أبي طالب ، ووفاةِ زوجه خديجة بعده بايام ثلاثة .

١٤ ـ وأنه في الثالثة والخمسين هاجر من مكة الى المدينة وكان استقباله فيها من الانصار بالغاً من الحماسة والاندفاع مبلغاً مبشراً بانتشار الدعوة وتعميمها ، وهداية الخلق الى الله .

١٥ ـ وأنه في الثالثة والستين التحق بالرفيق الأعلى ، بعد أنْ نَصَحَ لله ، وبلّغ الرسالة ، وأدّى الامانة ، الى الانسانية جمعاء غير مُفضل عرباً على عجمٍ ، ولا شرقاً على غرب . .

هذه خلاصةُ سيرتهِ النبويّةِ العامة ، كما يعلمُها أكثرُ رُوّاد الحرمين الشريفين . والذين يعلمون أنّ لرسول الله سِيَراً خاصةَ هُنّ الغاياتُ الاولى ، من سيرةِ حياته العامة ، افرادٌ قلائل . تلك هي (١) سيرتُه التعبُّديّةُ (٢) وسيرتُه الحقوقيةُ (٣) وسيرته

الاجتماعيّة والسياسيةُ (٤) وسيرته السّلميةُ والحربيةُ (٥) وسيرته المنزلية (٦) وسيرته الاقتصادية (٧) وسيرته العلميةُ . ولا ريبَ أنّ بحثَ كلّ سيرةٍ منها على حِدَةٍ ، يقتضي دراسةً طويلةً شاقّةً ، وانقطاعاً لها أعواماً . لأنه سَيتناولُ حتماً النواحيَ المتشعبةَ عنها ، ولا يرتابُ ذو علمٍ ، أن كلّ ناحيةٍ تستنفِدُ سِفراً خاصاً .

ويكفي لاعطاء فكرةٍ صحيحة عامةٍ لروّادِ الحرمين الشريفين ، عن كلْ سِيرِهِ صلى الله عليه وسلم . أنْ أُقدّمَ لهم نوَياتِ « سيرتهِ السلميةِ والحربيَّة » . وآثرتُها بالذكر ، لكثرة ما أسرف الجناةُ السطحيون على واقع المعرفة ، فجمعُوا ما جمعوا من زَيفٍ واختلاط ، في مؤلفاتهم باسمها ، حتى أمست في واد ، وواقعُ المعرفة في واد . ومفهومٌ أن النّوَيات في عالِمِ النَّباتِ ، تتحكَّمُ بحَيَواتِها وخصائصِها واتّجاهاتِها وبواعثها في التراب والماء والهواء ، فتخرج من كلّ ذلك ثمرَها ، فإن كانت طيبةً أخرجتْ ثمراً طيباً ، وإنْ كانت خبيثةً أخرجت ثمراً خبيثاً . وهذا شأنُ نَويَاتِ الوحي الإلهي في عالم أعمالِ الرسل والانبياء ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم . ولن تجد في

الوجود كله أروع من نويات الوحي الالهي، التي أخرجت بحيواتها وخصائصها واتجاهاتها وبواعثها من سير خاتم الأنبياء والمرسلين، مثاليات الانسانية الكاملة، ومُثلها الرفيعة العليا ذلك لأنه كان صلى الله عليه وسلم ما يأخذ به، أو يدع هو الوحي الإلهي وحده: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى»[1] وهذا حاله في أعماله[2] وتقريراته. وليست نصوص وحي الله، كنصوص المعاهدات في هذا العصر، التي تتحكم فيها القوى والشهوات سلباً وإيجاباً، حسب المصالح الخاصة. بل هي عهود مقدسة، أوحاها الله لاسعاد الانسانية كافة، فلا بد من إنفاذها بكاملها، بكل أمانة وصدق واخلاص وتضحية، ولن تجد توانياً عن انفاذها أبداً، ولو أدى ذلك، الى اتلاف المال والنفس والولد. وتقديمها

---

(١) النجم ٣ و ٤

(٢) لذلك لما كان يعلمهم الشورى أفهمهم أن ما يقدمه لهم من قول او فعل او تقرير ليس بوحي، لانه معلوم لهم ان كل ما يقدمه لهم هو وحي، كمنزله في يوم بدر بعيداً عن الماء، وتفضيله البقاء في المدينة يوم أحد، ولو ان ذلك وحي من الله لما عطله ابداً هذا مستحيل بل الوحي هو تعطيله ذلك، لتعليمهم فريضة الشورى. ومن اجل ذلك كان الرأي معهم في بدر، والرأي معه في أحد، شأن كل شورى ... ومن السطحية في الفكر قول بعضهم «كيف يكون ذلك مع الوحي ؟ !» جاهلا ان ما كان هو مقصود الوحي.

الى الانسانية بروح العصر ، وطريقة أسلوبه في الاداء ، هو اكبر عملٍ إنساني مجيد ، يطفي بروح السماء الندية الكريمة سعير أحقادِ الارض الوضيعة .

أما واللهِ انه لعملٌ انسانيٌ كبير يجب أن تُرصدَ له جانباً مِنَ الاموالِ ، الحكومات التي تؤمِنُ بالسلام وتعمل له ، والاثرياء المؤمنون الذين يحزُنهم ، ان تجهلَ الامم كنوزَ سِيَرِ النبيّ صلى الله عليه وسلم : وفيها هدى اللهِ ، وطُمأنينةُ الايمان ، وسعادةُ التقوى . وفيها البُطولةُ الفذة الرحيمة ، والشجاعة الادبية السامية ، والنشاطُ الجاهدُ في مواصلة الاعمال البرَّةِ العامة . وفيها التضحياتُ في سبيلِ الجماعةِ بالانفس والاموال ، بالفكر والعلم ، بالإيثار والبذل : ـ أي ـ بالايثار في تقدير نفقات المطعم والملبس والمسكن ، بقدر الكفاية أو دونها ، لامكان بذل الوفر في سبيل الجماعة ..

ولعل الله يكشف للانسانية واقع المعرفة ، فتدرك أن كنوز سير خاتم الانبياء والمرسلين الخالدة ، أسمى قيماً ومنافعَ وأحفل بعوائد الخير والسعادة لها ، من كل كنوزها وذخائرها الزائلة .

تقدم أنَّ سيرتَه السلمية والحربيـة ، منبثقةٌ من صميم الوحي الإلهي ، فخصائصها خصائصه . جميعها أضواء واقداس ، فهي في حدوده أبداً ، وإنْ حاول الوضّاع أنْ يجعلوها وراءه في مترامي الأبعـاد ، بما دسّوه عليهـا ، عصبيّةً لخرافاتهم المضحكة ، وغروراً بغباوة رجعيتهم القاصرة ، عن إدراك مثلها العليـا ، التي تستهوي العبقريات الكبيرةَ الحرّة ، إلى جلال الايمان بها . وظلّ ما وضعوه ـ وقد تعقبه أئمتنا الاعلام بمعارفهم الواسعة ـ سخرية الاجيال الدالةَ على سخافة عقولهم التي آثرتْ بإيمانها أساطيرَ الوثنيات والإشراك ، على جـلال الإيمان ، بآيات الله العلمية المعجزة . وإنْ تلقف مـا وضعوه ، أفرادٌ من الكتّابِ الغربيين ، وأذاعوه بينهم ، لعدم اطلاعهم على أقسام النصوص ، بأن منها مـا هو ثابت بالعلم القطعي ـ التواتر ـ ومنهـا ما هو ظنّيٌّ ، ومنها الضعيف ومنهـا

الموضوع ــ وما أكثره ــ كالنصوص الموضوعة التي جمعها الإمام العظيم احمد بن حنبل رضي الله عنــه ، وحفّظها اولاده وأفهمه أنها نصوصٌ موضوعة ، خَشيَةَ أن يقع في ما وقع فيه أولئك الكتّاب ، الذين توارثوا إذاعتَها في مؤلفاتهم[1]

ودراساتُ درجات النصوص المنسوبة لكل دين ، يجب أن تكون قبل التكلم عنه بأية كلمة ، خيّرةٍ أو شرّيرة ، لأنه يترتَّبُ عليها كشفُ واقع المعرفة ، الذي هو أثمن كنوز الانسانِ في الوجود ، بل أثمنُ كنوز الإيمان بالله ، إذ لولا كشف واقع المعرفة ، لما عُرفت حقيقةُ الإيمان بالله الخالق العظيم ، وهأنذا أقدم الى القراء جملة خصائص نوبات سيرته صلى الله عليه وسلم ، السلمية والحربيةِ ، الثابتة بالتواتر العلمي القطعي :

١ ــ السلام ، وله ثلاثة أركان « أ » منع سفك الدماء « ... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ

---

(١) كقصة الغرانيق ، وما اضيف على زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، بابنة عمته زينب ، واسباب تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم ، التي جهلوا بواعثها الحقيقية ، واسباب تحريم الخنزير و ...

جميعًا .»[1] «ب» منع الفساد في الارض «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»[2] (ج) بثُّ روح التعارف «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»[3] وبثُّ روح السلام «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً»[4].

والدخول في السلام، لا يكون إلا بقبول دعوته، متى وُجِّهَتْ ولو من المحاربين المعتدين «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ»[5]. «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ»[6].

٢ ـ الحرب ـ لما تفاقم عُدوان الوثنيين على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصحبه وتتابعت مُؤامراتهم وبطشهم، أَذِن الله له بردِّ عدوانهم «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى

---

(١) المائدة ٣٢ (٢) البقرة ٢٠٥ (٣) الحجرات ١٣ (٤) البقرة ٢٠٨
(٥) الانفال ٦١و٦٢ (٦) النساء ٩٤

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ »(١) . والمقصودُ من هـذا الإذن ، هو دفع الاعتداء عن حرية العقيـدة ، ولولاه لقضى المجرمون على الأديان السماوية : « وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً »(٢) . وجُعِلَ لَهُ شروط . (آ) المثلية « فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَـا ٱعْتَدَى عَلَيْـكُمْ ، وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ »(٣)

(ب) إيثار الصفح والمغفرة مع الشفقة عليهم « وَجَـزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ، وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ »(٦) . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في غزوة أُحد ، مع فظاعةِ اعتـداء قريش « اللهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » وعفا عن دُعْثور وقد أراد قتله . (ج) لا تُقابَل وحشيةُ المعتدين بالمثل ، بل تغفر ، والأصـل في ذلك أن

---

(١) الحج ٣٩ (٢) الحج ٤٠ (٣) البقرة ١٩٤ (١٦) الشورى ٤٠-٤٣

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه استفظعوا تمثيل الوثنيين بالمسلمين ، في غزوة أُحد ، زيادةً على ما فعلته هندُ ابنة عتبة بسيد الشهداء حمزة رضوان الله عليه فعزموا على المقابلة بالمثل ، فنزل قوله تعالى « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » [1] ومن الجهل بسيرته السلمية والحربية ، إعلانهم أنها عبارة عن سفك دماء . وما أجملَ ما قاله شوقي في ردّ هذا الجهل المفضوح .

قالوا غزوتَ ورُسْلُ اللهِ ما بُعثُوا
لقتلِ نفسٍ ولا جاؤا لسفكِ دمِ
جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطةٌ
فتحتَ بالسيفِ بعدَ الفتحِ بالقلمِ

وكيف لا يكون قولهم جهلاً ، والمعروف أنّ رسولَ الله صلى عليه وسلم ، كانت تحتمي به الابطالُ في ساعة البأس ، لشجاعته النادرة المثال ، ومع ذلك لم يقتلْ إلا شخصاً هجم

(١) النحل ١٢٦ - ١٢٧

عليه وهو ساقط في شق من الارض ، ولو أنه وجد سبيلا لنجاة نفسه منه لما قتله . ومن أجل ذلك لم يكن إعداده وجهاده هو وأصحابه ، إلا للإرهاب وصد العدوان عن حرية العقيدة « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ »[1] « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ »[2] والمقصود رد عدوان الفاتنين عن العقيدة ، لزعمهم أنهم يجازون عن الله ، فقاتلهم لإفهامهم أن الجزاء هو حق الله وحده « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم »[3]

(٣) — الأسرى . كانت الامم قديماً تعتبرهم أعداء فتقتلهم ، وقد جاءت فيهم هذه النصوص (آ) لا يقتلون: « فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ، وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا »[4] (ب) الإحسان إليهم وإكرامهم « وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا »[5] (ج) العمل على

---

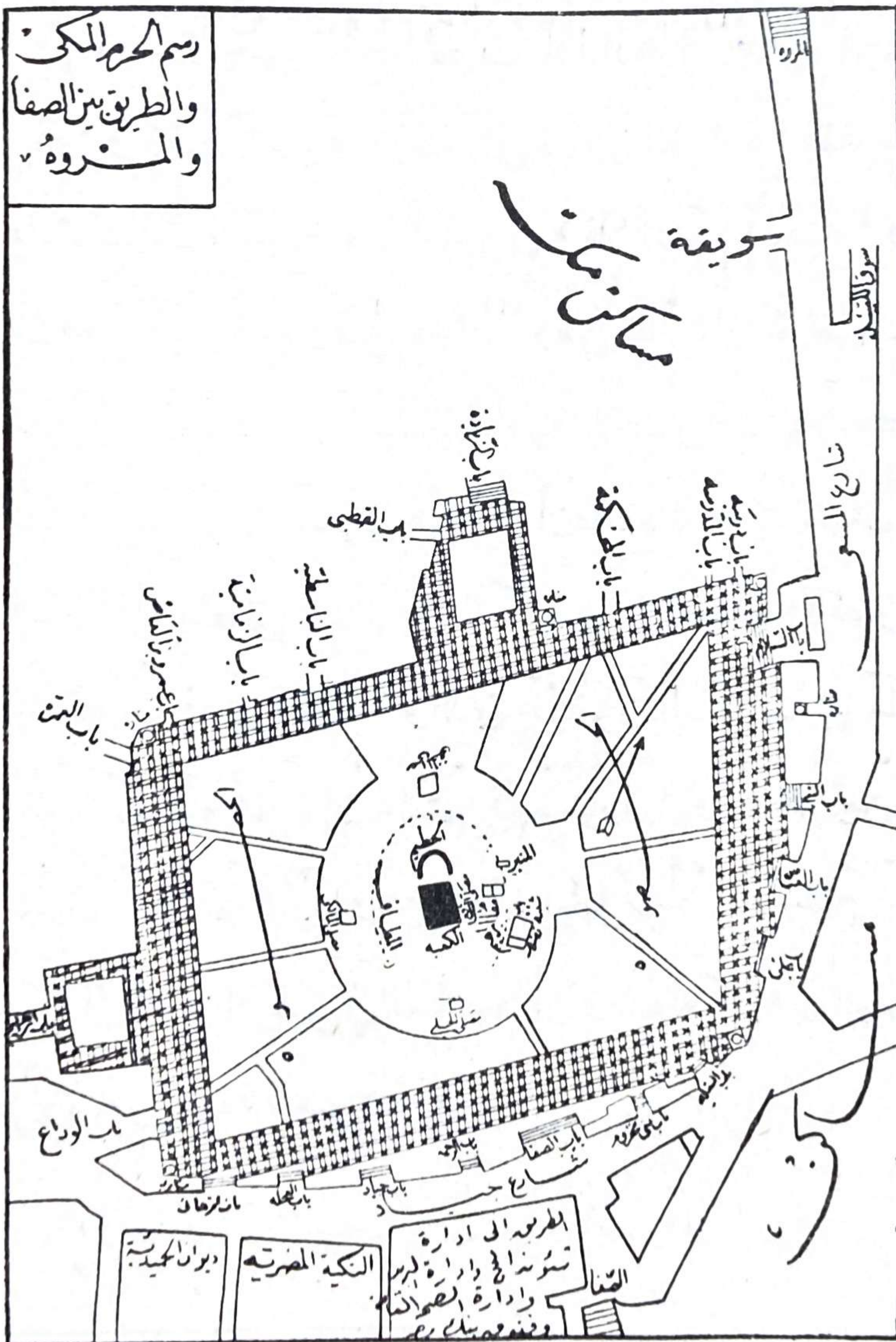
(١) الانفال ٦٠ (٢) البقرة ١٩٣

(٣) الغاشية ٢٥و٢٦ (٤) النساء ٩٠ (٥) الدهر ٨

إطلاق سراحهم وذلك إمّا بالمنّ عليهم وإمّا بالفدية، «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»[1] ومن عجز عن الفدية، وكانت الحاجة ماسّة الى تناول الغرامة، فقد جاءت الآيات بطلب الصفح عن العاجزين «فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ ...»[2] ومن ظلّ مملوكاً لغرامته في يد آسره، فان الاسلام جعل له طرقاً لاعتاق نفسه، كأن يكتب بينه وبين آسره عهداً، أن يدفع له ما يتفقان عليه أقساطاً، ثم ينطلق للسعي والكسب، حسب الاتفاق مع مساعدته من ذوي الثراء «وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ، إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً، وَآتُوهُم مِنْ مَالِ ٱللهِ ٱلَّذِي آتَاكُمْ»[3] ومن الظلم الجهلُ بأنّ الاسلام سبق أمريكا الى تحرير الرقيق في العالم بعد أن وضع له كل هذه الوسائل لتحريره من ربقة العبودية.

---

(١) محمد ٤ (٢) البلد ١١-١٣ (٣) النور ٣٣


رسم الحرم المكي
والطريق بين الصفا
والمروة
المروة
سويقة
مساكن
الكعبة
باب الوداع
التكية المصرية
ديوان الحميدية
الصفا
باب الصفا
باب السلام
باب القطبي

أركان الاسلام

أركانُ الاسلام خمس ، قال رسول صلى الله عليه وسلم :
« بُنِيَ الاسلامُ على خَمسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاء الزكاةِ ، والحَجِّ وصومِ رمضان »[1]

وهذه الاركانُ الخمس ، هي أركان الاجتماع الإنسانيِّ العام، المشتملةُ على كلِّ نويات الخير والايثار والتقوى والتفاهم واليك بيان ذلك :

١ ـ لا اله الا الله محمد رسول الله :

ألا إن في إيمانِ الإنسانية بأنَّ الخالقَ العظيم جلَّ جلالُه ، ليس شيئاً من العوالم الروحيةِ ، وليس شيئاً من العوالم المادية طرحاً لعبادتها ، ومتى طرَحَتْ عبادتها ، تلاقت متصافحة في صعيدِ عرَفات وهي تتلوا قوله تعالى: « شهِدَ اللهُ أنه لا إلَهَ إلا هُوَ والملائكةُ وأُولوا العلمِ قائماً بالْقِسطِ ، لا إلَهَ إلا هُوَ العَزيزُ

(١) رواه البخاري عن ابن عمر

الحكيمُ «(١) وقولُه عليه الصلاة والسلام «خيرُ مـا قلتُ أنا والنَّبيُّون مِن قَبلي : لا إلَهَ إلا اللهُ وحـدَه لا شريكَ له ، له الملكُ ، وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير»(٢)

والايمان برسالةِ خاتَمِ النبيين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو إيمانٌ بالرسلِ والأنبياء كافة وكم في هذا الايمان العام ، من قوةٍ هائلة في إحكامِ بنـاء المجتمع الانساني على المودة الصادقة ، والسلام العام ، والاخلاص .

إقام الصلاة

لا سعادةَ تبلغ في أنفسِ الجماعات والافراد ، مـا تبلغُه سعـادةُ الذين يعلمون ، أن الصلاةَ التي يقيمهـا الوثنيون والمشركون ، لآلهتهم التي اتخذوها ، من عـوالم الروح ، أو من عوالمِ المادة ، لا رجاءَ عندها ، ولا خيرَ فيها ، وإنَّ صِلاتهم بها لهي أوهى من خيوط العنكبوت . وأين هي من الصلة بالله الخالق العظيم ، الذي لا يُحَدُّ سلطانُه ، ولا يتناهى احسانه ، إنها صلة تجمعُ الانسانية جمعاء في مسجدها الجامع ـ الارض ـ الذي جاءتِ الإشارةُ إليه ، في هذا الحديثِ : « وجُعلت ليَ

---

(١)　　　(٢) رواه الترمذي

الأرضُ مسجداً» .

والصلاة لله خالق الوجود الحق ، نورٌ كما قال عليه الصلاة والسلام . وبها وحدها الفلاحُ ، ولا فلاحَ بدونها « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون »[1] : «وأَقِمِ الصلاةَ طرفي النهار وزُلَفاً مِن الليلِ ، إن الحسناتِ يُذهبْنَ السيئاتِ ذلك ذكرى للذّاكرين »[2] « وأَقِمِ الصلاةَ ، إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر »[3]

إيتاء الزكاة :

لن تجِدَ من مواساةٍ وتعاطفٍ وتراحمٍ وتوادُدٍ ، أوثقَ لعُرى ألاجتماع الانسانيّ العام ، في شيءٍ ، ما تجِدُه في أداء فريضة الزكاة . فأداؤها نجاةٌ من موبقاتِ المسألةِ والحرمان ، وحيْرة العوزِ ، ومحنةِ أحزانِه وبلاياه . قال الله تعالى : «والذين في أموالِهِمْ ، حقٌّ مَعْلُومٌ . للسائلِ وَالْمَحْرُومِ »[4] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ فرض على اغنياء المسلمين ، في أموالهم بقَدْرِ الذي يسعُ فقراءهم ، ولن يَجْهَدَ الفقراء ، إذا جاعوا ، أو عَروا إلا بما يصنَعُ أغنياؤهم ألا وإن

(١) المؤمنون ١ و ٢ (٢) هود ١١٤ (٣) العنكبوت ٤٥ (٤) المعارج ٢٤ و ٢٥

اللهَ يحاسِبُهم حساباً شديداً [1].

الحـــج :

كلُّ الاعمال الاجتماعية الكبرى، لا تتحقق إذا لم يكن هناك تعارفٌ وتفاهم وانسجام، ورُوحيَّةٌ سامية مُهيمنة، وكل ذلك متوفر في أداء فريضة الحج.

وركنُ الحج مُؤيَّدٌ بنصوصٍ كثيرةٍ في مواطنَ كثيرةٍ من الكتاب والسنة :

« ولله على النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنْ ٱسْتطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنيٌّ عَنِ ٱلْعالمين » [2]

« ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ [3] وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ في ٱلْحَجِّ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللهُ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُونِ يَاأُولِي ٱلْأَلْبَاب » [4] « وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ » [5]

وجاء عن بن عباسٍ رضي الله عنهما قال : كان الفضلُ بنُ العباسِ رَديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءت امرأةٌ مِن خثعمَ فجعل الفضلُ ينظرُ إليها، وتنظرُ إليه، وجعل

(١) رواه الطبراني في الاوسط عن امير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه (٢) آل عمران ٩٧ (٣) كناية عن الميل الجنسي (٤) البقرة ١٩٧ (٥) البقرة ١٩٦

النبيُّ صلى الله عليه وسلم ،يَصْرِفُ وجهَ الفضلِ الى الشِّق الآخر ، فقالت يا رسولَ الله ، إنَّ فريضةَ الله على عبادِه في الحجِّ أدركتْ أَبي شيخاً كبيراً ، لا يَثْبُتُ على الرَّاحلة ، أفأحجُّ عنه قال : نعم ، وذلك في حجة الوَداع »

والمقصودُ من ذلك أن يفهمَ المسلمون أنَّ ركنَ الحج في الاسلام ،له مكانتُه الكبرى ، ومنافعه العظيمةُ ، وأَنَّ التفريط فيه ، يُعتبرُ خسارةَ لا تُعوض بثمنٍ . وما أحسَنَ ما روي عن عبدِ الملك ابن جُريج إذ قال : « كنتُ مع مَعنِ بن زائدة باليمنِ ، فحضرَ وقتُ الحجِ ، ولم تحضرني نيةٌ ، فقرأتُ قولَ عمرَ بنِ أَبي ربيعة

بالله قولي له في غير مَعتبةٍ
ماذا أردتَ بطولِ المكثِ في اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعمتَ بها
فما أخذتَ بتركِ الحج من ثمن

ثم دخلت على مَعنٍ فأخبرتُه أني قد عزمت على الحج ، فجهزني وحججت .

مسائل في الحج

فهمنا أن الحجّ ركنٌ في الاسلام ، كالصلاة تماماً . وفهمنا أنّ للصلاة وقتاً مخصوصاً لأدائها ، وأن لها نيةً للدخول فيها ، ومظهرها الخارجي تكبيرة الاحرام ، وأنّ لها السّلامَ الذي هو علامةُ انتهائها . وأنّ لها أعمالاً كثيرةً بين ذلك منها المفروض ، ومنها المسنون . وهذا حالُ الحج أيضاً . ولمّا كان للحج مسائلُ لا غنى للحجّاج عن فهمها ، عرضتها هنا بصورة لطيفة سهلة وهي :

زمان الحج ومكانه

للحجّ زمانٌ ومكان تقع فيهما اعمالُه ، أمّا زمانُه فإنه يبتدئ من اليوم الاول من شوال ، وينتهي في اليوم العاشر من ذي الحجة . وأما مكانُه فهو الحَرَمُ . وله حدودُه المعروفة « بالمواقيت » وأطلق عليه اسمُ « الحرم » لحرمتِه ، ولتحريم أعمالٍ كثيرة ، كانت حلالاً للحجاج ، من قبل دخولهم فيه

ومن أجل ذلك أطلقوا اسم «الحِلّ» لما عداه من امكنة.

ومواقيتُه التي تبينُ حدودَهُ من كل نواحيه كما يلي:

١ للمدينة المنورة «ذو الحليفة» والعامةُ تسميها آبار علي

٢ ولنجد «قَرْن المنازل»

٣ ولليمن «يَلَمْلمُ» وهو جبل من جبال تهامة

٤ وللشام «الجحفةُ» وهي أقرب ما تكونُ من رابغ.

٥ وللعراق «ذات عرق»[1].

٢ – العمرة

العُمْرةُ عبارة عن احرام وطواف وسعي، وهي مفروضة في العمر مرةً كالحج لدى الحنابلة والشافعية، وسنةٌ مؤكدة لدى الاحناف والمالكية ومواقيتها، لمن كان من أهل الحِلّ، هي مواقيت الحج، وكهذا لمن كان من أهل الحرم. أي من أراد العمرةَ من اهل مكة مثلًا فإنه يخرج الى الحِل، وينوي

(١) والمقصود من ذكر المواقيت أن يعرف الحجاج حدود الحرم، فلا يجتازونها بدون احرام، من اي جهة جاءوا. ولو لم يكونوا من اهلها. والآن لوجود الطائرات التي تختطف الابعاد اختطافاً، اصبح عسيراً على الحجاج الاحرام من نفس المواقيت. فليحرموا من قبل ركوب الطائرة او متى ركوبها كما فعلت ذلك بنفسي وارشدتهم الى ذلك، وقد كانوا يجهلونه.

العمرة . ورسول الله أحرم بالعمرةِ من الجعرّانة بيد أنـه أمر أَهلَه بالاعتمار من التنعيم ، وهذا تسهيلٌ منـه على العباد ، واختلاف الائمة في الافضليـة ناشيء من ذلك . فالذين يرون تقديم اعمالِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عـلى أقواله ، يُفضلون الاحرامَ من « الجعرّانة » ثم التنعيم وهم المـالكية والشافعية ، والذين يرون تقديمَ أقواله على أعمـاله يُفضلون الاحرام من « التنعيم » ثم الجعرانة » وهم الحنابلة والحنفية ، والعمرةُ كما تصح مقترنةً بالحج ، تكون مفردةً ، وفي غـير زمن الحج .

٣ ـ الانساك الثلاثة

الأنساك أي نيات الدخول فيها ، ولدينا ثلاثة أنساك .

١ ـ « الإفرادُ » : وهو أن ينويَ الحجَّ وحده .

٢ ـ « التمتُّعُ » : وهو أن ينويَ العمرةَ وحدهـا في اشهر الحج ، والمتمتع متى دخلَ مكة ، وأدّى بقية اعمال العمرةِ ، يتحلل من احرامه ، ويصبح كأهل الحرم ، وتجب عليه الفدية ، وهو شاةٌ أو سُبُع بقرةٍ أو سُبُع بدَنةٍ . فان لم يجدْ فيصومُ ثلاثةَ أيام في الحجّ ، وسبعةٍ إذا رجع الى أهله .

٣ ـ القِران

وهو أن ينويَ الحجّ والعمرةَ معاً ، وحينئذٍ تدخلُ أعمالُ العمرة في أعمال الحج ، إلّا أنَّ الأحنافَ ، يُوجبونَ على القارنِ ، طوافين وسعيين ، كما أنّ عليه الفدية . والتفاضل بين الانساك الثلاثة ، مختلف فيه بين أهل المذاهب على الترتيب الآتي :

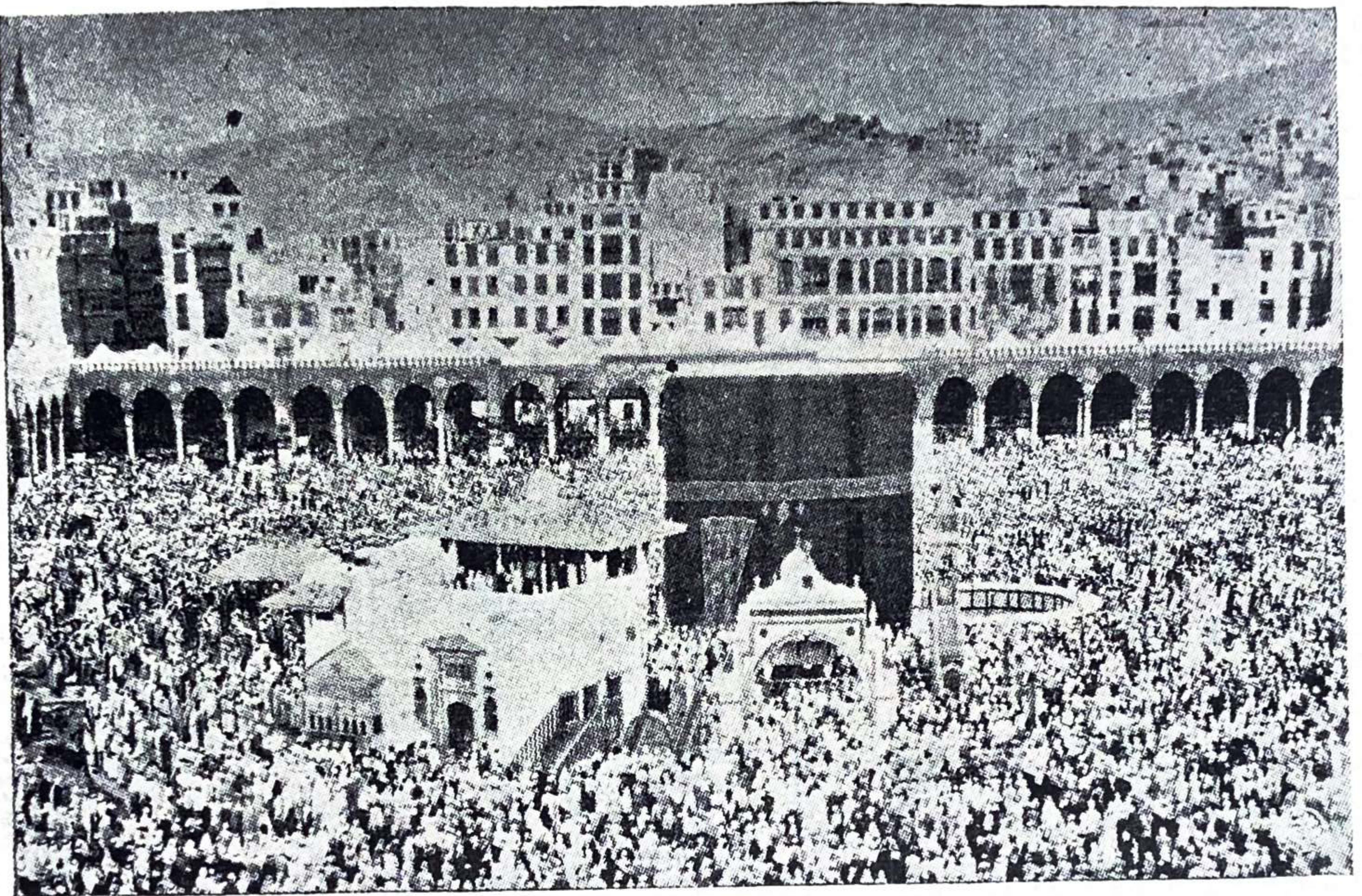
المالكية	الحنابلة	الشافعية	الاحناف
١ الإفراد	١ التمتع	١ الإفراد	١ القِران
٢ القِران	٢ الإفراد	٢ التمتع	٢ التمتع
٣ التمتع	٣ القِران	٤ القران	٣ الافراد

٤ ـ حج البدل

حرامٌ أن ينوبَ شخصٌ عن شخص في القربى الى الله ، كالصلاة والصوم . وهو جامد مُتبلد ، أو سارحٌ مارح يركبُ رأسه .. ولكن لما كان الحجُّ قُرْبَةً تشتمل على شتى المنافع الاجتماعية الكبرى ، شُرع حجُّ البدل ، عن الذين وجب عليهم ولٰكنهم لم يحجوا ، حتى ماتوا ، أو الذين عُطِبُو بشيخوخة أو مرضٍ ، والحج واجب عليهم .

والمسألةُ أنّ هناك اشخاصاً يملكون ثروة من الحكمة والعقل والعلم والافادة الاجتماعيّة ، ولكنهم لا يملكون ثروةَ المال حتى يتمكنوا أن يُعاودوا الحج مرة بعد مرة . لأمثال هؤلاء ينبغي أن تدفع حجَّات البدل ، ليتمكنوا من بث روح الانسانيّة والنبل والخلق الكريم والاخلاص والقربَى إلى الله تعالى ، بين جماهير الحجاج .

والنصوص التي جاءت لاثبات حج البدل كثيرة ، منها حديث الشيخين « أن رجلًا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ، إن اختي نذرت أن تحجّ ، وماتت قبل أن تحجّ . أفأحج عنها . فقال صلى الله عليه وسلم ، لو كان على أختِك دينٌ أكنتَ قاضيه ؟ قال : نعم ، قال : فاقضُوا حقّ الله ، فهو أحقُّ بالقضاء .



الحرم المكي الشريف ويرى فيه الكعبة الشريفة وبئر زمزم والمقامات الاربعة والناس حول الكعبة يؤدون صلاة عيد الفطر المبارك

مناسك الحج

لا ريب أن روّادَ الحرمين الشريفين ، الذين تستثيرهم أشواقُ الايمان ، ورغباتُ نيل رضوان الله ، من شَتّى أوطانهم إلى ارتيادهما ، ومباشرة مناسك الحج ، وآداب الزيارة ، يسعدهم أنّ تنكشف لهم بعضُ أسرارهما بمقدار ما تفضل اللهُ عليهم ، من مواهب تَستَوعِبُ ، وهذا حالي ، فأنا أكتبُ ما أكتبُ ، بمدى ما تفضل الله عليّ من مواهب تَكْشِفُ . وإني وإياهم نعتقدُ أن في آفاق أسرارهما حكماً مُحَجَّبَةً ، في مترامي أبعادها وراء وراء ، سَيُلهِمُ اللهُ منها في العصور المقبلة ، مَنْ يريد أن يلهمَ ، لتكونَ في كل عصرٍ ، آياته المُتَحَدِّيةُ المعجزة .

ومناسكُ الحج تشتَمِلُ على شيئين أساسيين ، فوق منافعه الاجتماعية العامة .

١ ـــ تشتملُ على مُعظمِ الوانِ العبادات التي أوحاها الله على الرسل قديماً ، منذُ أيامِ إبراهيم ، إلى خاتمهم سيدنا محمد « صلواتُ الله وسلامُه عليهم » .. فيه الاحرامُ ومحرماتُه ، وفيه الطوافُ حول البيت ، وفيه السعيُ بين الصفا والمروة ، وفيه

الوقوف بعرفات ، وفيه الافاضة الى مزدلفة ،وجَمعُ حجار الرجم وفيه المكثُ بمنى ، ورجمُ الأنصاب ، وفيه إراقةُ دماء الأضاحي ، والحلقُ أو التقصير ، فهو استعراضٌ سنويٌّ لكلِّ الوانِ هذه العبادات . فما أجلّه من استعراضٍ مقدس ، تتجلى فيه وَحدةُ الروح الدينيَّةِ الصحيحة منذ أقدم الأديان السَّماوية إلى خاتِمها الدين الاسلامي .

٢ ـ تشتمل على مُثُلِ أخلاقِ الانسانية العليا التي هي : التعارفُ ، التوارد ، السلام ، المساواة ، النظام ، الطاعة ، إيثارُ مصلحة الجماعة على مصلحةِ النفس ، احتمالُ المشاق التفثُ ، الارادة الضابطة ، عفة اللسان ، التقشف والشعث ، كفُّ النزوات المباحة النَّجْدةُ والتعاون ، السخاء ، السرعة في انجاز الاعمال ، اجتياز المسافات البعيدة .

وقد اقتبس مِن اسرار مناسك الحج ، الرئيسُ (روبرت بادن باول) معظمَ مبادئه الأَساسيَّة ، التي شيَّد عليها ، نهضته الكشفيةُ العالمية . يعرف ذلك الذين ، لهم اطلاعٌ واسع على مبادىء الكشفية . وعلى مناسك الحج . وإني أعرضها هنا متتابعة حسب ترتيبها العملي ...

١ الاحرام [1]

مناسكُ الحج هي عباداته التي يُزاوِلها الحجّاجُ ، ويسن قبل الدخول فيها ، الاغتسال إن تيسر ، وإلا الوضوء يكفي ، وتقليمُ الأظافر ، وسوى ذلك مما يجعل الانسانَ نظيفاً. والرجل والمرأةُ في كل ذلك سواء ، ولا يضر وجودُ الحيض والنفاس ، فقط الحائض ، والنفساء لا تصلي الركعتين المسنونتين ، بل تُحْرِمُ بعد الاغتسال ، أما المرأة الطاهرة والرجل ، فإنهما يحرمان بعد صلاة الركعتين . والاحرامُ يكون بأحد الانساك الثلاثة ، الإفراد أو التَّمتُّعِ أو القِرانِ . يقولُ : (نَوَيْتُ ... فيَسِّرْ ذلك لي ، وتقبلْهُ مني) ثم يلبي : (لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْـكَ ، لبَّيْكَ لا شريكَ لك لبيكَ ، إن الحمدَ والنعمةَ لك ، والملكَ ، لا شريك لكْ) .

٢ ـ محرمات الاحرام

نجد محرماتَ الاحرام مُحقِّقَةً للمثل الانسانيـة العليا ، فللمراس على التقشف ، والصبر على التَّفَثِ والشعث ، جاء تحريم

(١) اي نية الدخول في مناسك الحج والنية محلها القلب الا ان الاشيـاء المذكورة مظاهر الاحرام

لبس الثياب المخيطة على الرجال، والاقتصار على إزار ورداء وتغطية الرأس – ما خلا المظلة لدفع أذى الشمس – ويكفي أن تكون المرأة في إحرامها كموقفها في الصلاة. تكشف وجهها و كفيها، إلا اذا خيف الفتنة، فتصنع ساتراً متجافياً لا يمس الوجه، واذا لم يتيسر ذلك، فلا بأس بمسه الوجه عند الحنابلة: وجاء تحريم تقليم الاظافر، وإزالة الشعر، والتطيب والانتعال بما يستر العقب، وكل ظاهر القدم. وجاء لضبط نوازع النفس، والعفة تحريم استمتاع الأزواج، والمباشرة الجنسية، وهذا الرفث الذي لا يتناسب مع جلال طلب الخالق العظيم في الحج. ومن أجل ذلك الحق به الأئمة الثلاث منع اجراء عقد النكاح، ما خلا أبا حنيفة. وجاء لايثار مصلحة الجماعة على مصلحة النفس، تحريم قطع نبات الحرم، وأشجاره وصيد البر، لأن في ذلك معاشاً لسكان الحرم، لو أبيح لجموع الحجاج، الزاحفين من كل الفجاج لما أبقوا على شيء. ولمّا كان قسم من البحر الأحمر داخلا في الحرم، وكان صيد البحر كثيراً ولا يضر أخذه السكان بشيء أبيح. وجاء لعفة اللسان وأدب النفس تحريم الفسوق وهو

الخروج على آداب الاسلام، كما جاء تحريم الجدال والكلام البذيء والمخاصمة مع الأُجَراء والرفاق والباعة.

وكم تتجلى في مظاهر الاحرام الواجبةِ المُساواةُ الصحيحةُ، والتوادُدُ والتعارف، والنظام والاخوةُ الصادقةُ والطاعة والصبر على المشاق، وصدق الايمان.

هذه محرمات الإحرام، فإن وقع في شيء منها، فانه يجبر بالفدية. ما خلا الصيد فيفتدى بمثله، وما خلا الجماع، فانه يُفسدُ الحج، اذا حصل قبل التحلل الأَول لدى الشافعيَّة والحنابلة، ولدى الاحناف لا يفسدُ الحجّ إلّا اذا وقع قبلَ الوقوف بعرفات، والمالكية قالوا قبل رمي جمرة العقبة، أما إذا حصل بعد ذلك، فان الحجَّ لا يفسد، وعليه الفديةُ ومَنْ أفسد حجَّه بالجماع فقضاؤُه واجبٌ، وعليه فدية (بَدَنَة) عند الشافعي وأحمد، وعندَ مالكٍ وأبي حنيفة، تكفي فديةٌ شاةٌ...

ويُباحُ للمحرمين الاغتسالُ بالصابون غير المعطر، وحكّ الرأس برفق، حيث لا يتساقط له الشعرُ، والاحتجام

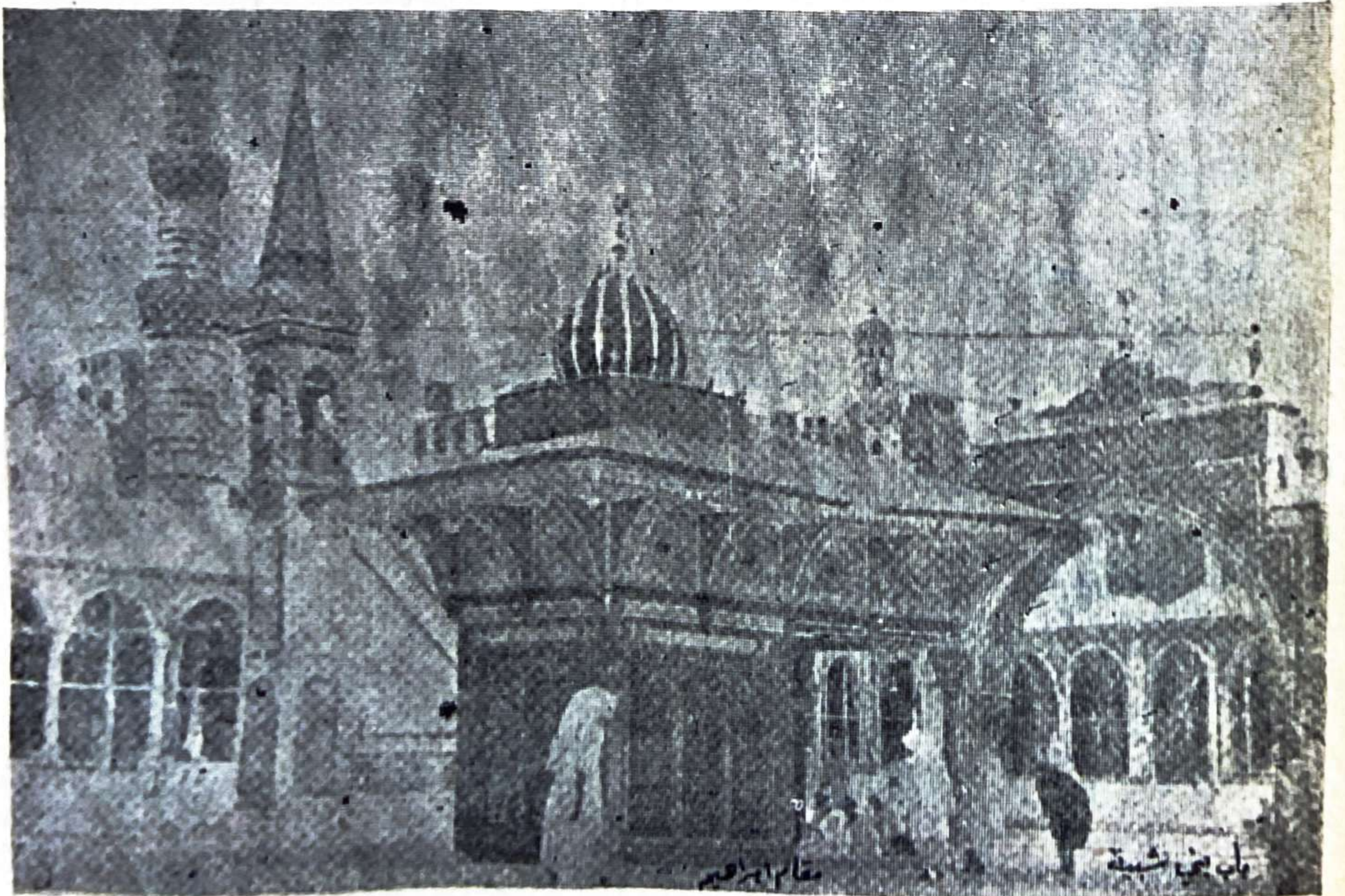
٣ التلبية

لا يرتاب أحدٌ في أنّ الله دعا الى حج بيته المحرم، ولا يرتاب

أحدٌ ، في أن أفضلَ الأعمال ، هي اجابةُ دعوةِ الله الخالق العظيم .

وكيف لا تكون أفضلَ الاعمال ، وفيها الانقيادُ التام لأمرِ الله ، والمسارعةُ في الإجابة ، ونيلُ رضوان الله المحقق ، والرغبةُ فيما لديه ، والتضحيةُ بكل شيء في سبيله .

والتلبيةُ شعارُ الحجاج ، وينبغي الاكثارُ منها ، ورفعُ الأصواتِ للرجال ، بغير مشقَّةٍ وجُهْدٍ . وبالحري اذا صَعِدُوا مرتفعاً أو هَبَطُوا وادياً ، وفي عقب الصلوات الخمس ، ولدى تلاقي الجماعات ، وبكرة لدى يقظة الفجر .



متى شاهد الحجاجُ منازلَ البلدِ الحرام ، يأخذون في تلاوةِ هذا الدعاء : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم اجعل لي بها قراراً ، وارزقني فيها رزقاً حلالا . اللهم إنَّ هذا الحرمَ حرمُكَ ، والبلدَ بلدُكَ ، والأَمن أمنُك ، والعبدَ عبدُكَ ، جئتُك مِنْ بلادٍ بعيدةٍ بذنوبٍ كثيرةٍ وأعمالٍ سيّئةٍ ، اسألُك مَسألة المُضطرّين إليك ، المُشفِقين مِنْ عذابك ، أن تستقبلَني بمحضِ عَفوِكَ ، وأن تُدخِلَني فسيحَ جنّتك ، جَنّةِ النعيمِ . اللهم إنّ هذا حَرمُك وحرمُ رسولِكَ فحرِّم لحمِي ودمي وعظمي على النار »

فإذا أفضى إلى بابِ السلام ، وهو أحدُ أبوابِ المسجد الحرام تلا : « اللهم أنتَ السلامُ ، ومنك السلامُ ، فحيِّنا ربَّنا بالسلامِ ، وأَدخِلنا الجنّةَ ، داركَ دارَ السَّلامِ ، تباركتَ وتعاليتَ يا ذا الجلال والإكرامِ . اللهم افتحْ لي أبوابَ رحمتِك ومَغفرتكَ وأدخِلْني فيها . بسمِ اللهِ ، والحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله »

ومتى شاهد الكعبةَ المشرفة هلّل ثلاثا ، وكبّر ثلاثا ، وتلا « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملكُ وله الحمد وهو

على كلِّ شيءٍ قدير . أعوذُ بربِّ البيتِ من الكفرِ والفقر ، ومِن عذابِ القبر ، وضيقِ الصدر ، وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلم . اللهم زِدْ بيتَكَ هذا تشريفاً وتكريماً وتعظِيماً ومهابةً ورِفعةً وبِرّاً . وزِدْ يا ربِّ مَنْ كرّمهُ وشرّفهُ وعظّمَهُ تشريفاً وتعظيماً ومهابةً ورِفعةً وبِرّاً » .

حتى اذا دخل من باب بني شيبة تلا : « رَبِّ أَدْخِلني مُدخلَ صِدقٍ وَأَخرِجني مُخْرَجَ صدقٍ ، واجعلْ لي مِنْ لَدُنْك سلطاناً نصيراً ، وقُلْ جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ ، إن الباطلَ كان زَهوقاً ، ونُنَزِّلُ مِن القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين . ولا يزيدُ الظالمين إلا خساراً »

ثم يقصدُ الحجرَ الأسودَ ، ويقبِّلُه إن استطاع ، وإن لم يستطع استلمه بيده اليمنى ، أو أشار إليه ، وهو يتلو باسم اللهِ ، واللهُ اكبر ، ويكررها ثم ينوي طوافَ القدومِ بقوله : اللهم إني أريد طوافَ بيتِك الحرام فيسرهُ لي : « والطواف سبعةُ أشواط ، لكلِّ شوط دورة تامّة حول البيت تبتدىء بالحجرِ الأسود ، وتنتهي اليه . ويرمل في الأشواط الثلاثةِ الاولى ، والأربعة الباقية ، يَمشي مَشياً عادياً . ويدعو في أشواط

طوافه بما شاء من خير الدنيا والآخرة . أو يدعو بالأدعية المأثورة التي يرددها المطوفون بين يديه . ومتى انهى الطواف صلى ركعتي الطواف خلف مقام ابراهيم . وبعد الصلاة يشربُ من ماء زمزم وهو يتلو : « اللهم اني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاءً من كل داءٍ وسقم » واذا انتهى من أعمال نُسك الطواف ، يشرعُ في أعمال نسك السعي . وحكمه في المذاهب كما يلي :

مالكي	حنبلي	شافعي	حنفي
واجب	سنة	سنة	سنة

السعي بين الصفا والمروة

: « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيم » [١]

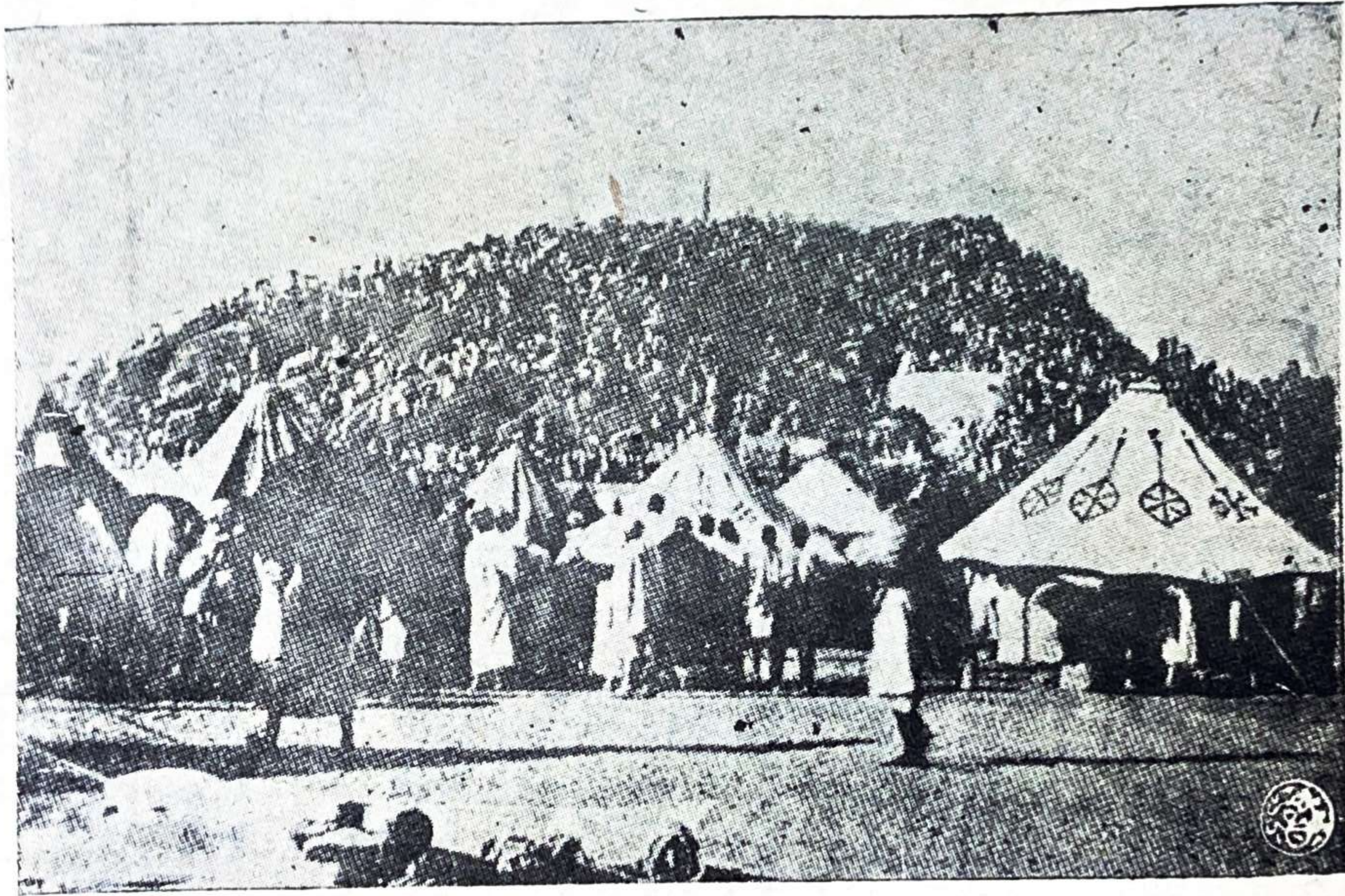
والصفا والمروةُ هما مكانان مرتفعان يُصعدُ إليهما بدرج ، ومن الصفا يكونُ ابتداءُ السَّعي دائماً ، وينوي السعي للعمرة فقط إن كان مُتمتِّعاً ، أو للحج إن كان مُفرداً ، أولهما معاً ،

(١) البقرة

إن كان قارناً ، وهو يتلو لدى النيـةِ ، « اللهم إني أُريدُ أن أسعى بين الصفا والمروة سبعة أَشواطٍ سَعْيَ كذا ...» ويعيّنه بأحد الأنساك الثلاثة . ثم يصعد عـلى درج الصفا ويقول : « اللهُ اكبر ، اللهُ اكبر ، اللهُ اكبر ، وللهِ الحمد » ثم يأخـذ في السعي سبعة أشواط ، فالذهاب مِنَ الصفا الى المروةِ يعتبر ُشوطٌ والعودةُ من المروة الى الصفا تُعتبرُ شوطٌ ثانٍ . وهكذا الى النهاية « وتكونُ في المروةِ دائماً .

وينبغي كلما وافى الصفا والمروةَ أَنْ يَصْعَدَ على الدرج ، وكلما وافى الميلين الأخضرين يُهَرْوِلَ بَيْنَهُما ، وفيما دونها يكون مَشْيُه كالمعتاد ، والمرأةُ لا تُهَرْوِلُ ، ويدعو بما يشاء ، ومتابعةُ مُطوفهِ بالمأثور من الأَدعية أَوْلَى ...

منظر الحجاج فى خيامهم بعرفات



جبل الرحمة بعرفات

« وَالْفَجرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ . والشَّفْعِ والْوَتْرِ . وَاللَّيلِ إِذَا يَسْرِ . هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ »[١]

الليلُ روحٌ ، والنهارُ جسد ، وفي الليل سرٌّ همزةِ الوصل بين الخالقِ العظيم ، وقلوبِ عبادِه المؤمنين الخاشعين .

وفي الليالي العشرِ الأُولى مِن ذي الحجة ، يَكْمُلُ اجتماعُ الحجَّاج مِنْ كلِّ فجاج الأرض . وكم في كمالِ اجتماعِ الحجاج من منافع ، وكم فيه مِن خيرات وبركاتٍ وتجلِّيات . فمن أجل ذلك أقسم اللهُ بالليالي العشر في وحيه: « والفجرِ وليالٍ عَشْرٍ » ولولا أنَّ اللهَ أَوْدعَ فيهنَّ مِنْ أسرارِه ، ما هو خليقٌ بجلال قسمِه ، وما هو خليقٌ أنْ يستثير ذوي العقولِ والمعارف على الدرس والإفادة ، لَمَا أقسم .

لا ريب أنَّ ما أودعه فيهنَّ قبساً مِن ليلة القدر ، فهُنَّ يَفِضْنَ فيضَها بالتجليّات والمَبرّات والبركات .

ولَمَّا كان يومُ عرفةَ هو يومَ الاجتماعِ العامِ ، للحجاج كافة ، في مكانٍ واحد ، من غير تخلف أحد . اختاره اللهُ مِن

---

(١) الفجر ١ و٢ و٣ و٤ و٥ والمقصود من الفجر هو فجر يوم عرفة العظيم .

بين الأيام العشرة ليكونَ يومَ الحج الأكبر، الذي تُعلنُ فيه وتُبلَّغ مُثلُ الاسلام العليا للناس كافة: «وأَذانٌ مِن اللهِ ورسُولِه إلى الناسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ...» كما أَن رسوله صلى اللهُ عليه وسلم، جعل فيه خطبة الحجِّ، التي هي أكبرُ خُطبِ الاسلام[1]، وكم من أحكامٍ تشريعية خالدة لخطبته في حجة الوداع. ومن أجل ذلك كله أقسم الله بفجرِه، ولم يقسم بفجرٍ سواه من الأيام العشر، وما أصدق الأثر المشهور: «الحجُّ عرفة» ولقيمة اجتماعِ الحجاج كلّهم في يوم عرفة، أَجمع الأئمة أن مَن فاته الوقوف بعرفات، فقد فاته الحج واعتبر الامام احمد ابتداءَ زمن الوقوف من فجره لِقَسَمِ الله

(١) لا مجد يعدل اذاعة خطبة الحج على العالم، لانها تشتمل على اكبر مثل الاسلام العليا، التي فيها تصحيح العقاية العالمية، لفهم حقيقة وحي الله، كما هو في منابعه الاولى اليقينية، وعلى فهم حقيقة الوحي، يتوقف الايمان به، اذ ليس في الوجود من لا يكترث لنور وحي الله، متى اشرق في عقله وقلبه، ولا عبرة بمن لا يكترث من ذوي العاهات العقلية، فلكل قاعدة شواذ. ويا حبذا لو أضافت الحكومة السعودية، الى شتى اعمالها الفنية الحديثة، اذاعة خطبة الحج، بأشهر لغات العالم، وطبعتها ووزعتها على الحجاج بلغاتهم، لتكون خير ذكرى وهدية يتحفون بها، اهليهم وجيرانهم من اهل الاديان الاخرى، ليطلعوا على حقائق كنوز وحي الله المحجوبة عنهم. وأعتقد أن مواطني الكرام يوافقونني على ان هذا اولى من اذاعة ان فلاناً يسلم على فلان، وان فلاناً بن فلان بخير، والعالم اجمع يسمع ولكنه لا يعلم من هؤلاء، ولو كان فلان ملكاً او اميراً معروفاً لهان الامر ...

به ، واعتبر الامام مالك الابتـداء للواجب من الزوال وينتهي بغروب الشمس ، ولكن ركن الوقوف يبتدئ من غروب الشمس واعتبر الإمامان ابو حنيفة والشافعي ابتداء زمنِ الوقوف من زوال الشمس ، واتفق الجميع أن زمن الوقوف ينتهي بطلوع فجر يوم النحر . والوقوف بعرفات ليس مفروضاً في زمنه المعين جميعه ، بل يكفي بعضهُ : « فالشافعيةُ قالوا : تكفي اللحظةُ ، ويُسَنُّ أن يجمع بين جزء من الليل وجزء من النهار والحنابلةُ قالوا : من وقف ليلاً تكفيه لحظةٌ ، أما من وقف نهاراً ، فيجب عليه أن لا يفيضَ الى مزدلفة حتى يُدركَ ، ولو لحظة من الليل . والمالكيّةُ : اعتبروا الركن هو ادراكُ لحظة مِن الليل . وفواتُه فواتٌ للحج ، واعتبروا الواجب هو ادراكُ لحظةٍ من النهار ، وفواتُها يُجبرُ بفديةٍ . والاحناف قالوا : من وقف نهاراً يجب عليه أن لا يفيضَ حتى يدركَ لحظةً من الليل »

٧ - أدعية يوم عرفة

لمَّا كان يومُ عرفـةَ كلُّه خيراً وطهراً وقُدْساً وضراعـة وتأوُّهاً ، وكلُّه ثقة واجتماعاً وتعارفاً وتسامحاً كان للدعاء فيه

من رجاء الإجابة ، ما ليس ليوم سواه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « خيرُ الدعاء دعاءُ يوم عرفة » . وليوم عرفة أدعية مأثورة كثيرة . جمعها العلامة السيد محمد سعيد شطا في رسالة خاصة لا يُستَغْنَى عنها في يوم عرفة .

وينبغي أن يُردِّدَ دعاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة : « اللهم لك الحمدُ كالذي نقولُ ، وخيراً مما نقولُ ، اللهم لك صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي ، وإليك مآبي ، ولك يا ربِّ تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما يجيءُ به الريح »

٨ – الافاضة الى مزدلفة

قال الله تعالى : « فإذا أفضْتُمْ مِـن عرفاتٍ فاذكُروا الله عندَ المشعرِ الحرام » .

تبتدئ الإفاضةُ إلى مُزدلفة ، بعدَ تحقُّقِ غروبِ شمسِ يَوْمِ عرفة ولا بُـدَّ من دخولِ جزء من الليل ، يقع فيه مقدارُ الوقوفِ المفروض ليلاً . ويؤخر صلاةَ المغرب ، ليُصليَه في مزدلفة ، مع قصرِ العِشاء وجَمْعِهِ جمعَ تأخير .

وفي مزدلفة يقفُ لدى المَشْعَرِ الحرام ، إنْ تيسَّر ، والمشعَرُ الحرام ، هو نَشَزٌ من الأَرض ، شيِّد فوقه مسجد ، لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقف هناك ، ويذكر

الله كثيراً . ويدعو الحاج بما شاء ، ويجمع حصي الرجم ، إن تمكن ، وإلا فمن أي مكان كما قال الامام احمد ...

ولجُهْدِ ما يُعانيه الحاجُّ في مزدلفة قال الإمام مالك : « يكفي لأداء واجبِ الوُقوفِ في مزدلفة ، مقدارُ حطِّ الرحال ، في أيِّ وقتٍ تيسَّرَ من ليلة العيد » . وقال الشافعيُّ : « تكفي لحظةٌ من منتصفِ ليلةِ العيد . وقال الإمامان أبو حنيفة وأحمد : « وَقْتُه ما بين طلوعِ فجر يوم العيد وشروقِ شمسه» وبعد الانتهاء من مزدلفة يفيض إلى منى .

٩ – سر رمي الجمار

لم يُقاومْ أبو الأنبياء سيدُنا ابراهيمُ شيئاً مُقاومته للوثنيَّة ، فهو الذي جابَهَ قومَهُ بما يكرهون من تحقيرها ، والنَّيلِ منها ، والكيدِ لها . وفعلاً لم يبالِ بهم ، فقد هَجَم على أنصابها ، في غيابهم ، وجعلها جُذاذاً ، وأغاظ الشيطانَ كلَّ الإغاظة ، وهو الذي قال لأبيه ناصحاً : « ... يا أبتِ لِمَ تعبدُ مَا لا يَسْمع ، ولا يبصرُ ، ولا يغني عنك شيئاً . يا أبتِ إنِّي قد جاءني من العلم ما لم يأتِكَ فاتَّبِعْني أهدِكَ صِراطاً سَوِيًّا . يا أبتِ

لا تَعبُدِ الشيطانَ ، إنّ الشيطانَ كان للرحمنِ عَصِيًا ».[1]

أَلا إن الانصابَ المَعبودة من دون الله ، هي عبادةٌ للشيطان لأنها من تسولاته ، اليس كلُّ ما في البشريّةِ من شُرورٍ وآثامٍ وبلايا وأحقاد وفتن وحروب ، مأتاها من الشيطان .

وإذا كانتِ الوثنيّةُ والاشراكُ معاً هما العكوفَ في هيكلِ الشمس أو النجوم أو الأبقار أو الانصاب . لما فيه من إعطاء الثقة والطمأنينة والإيمان والرجاء والسؤال أي العبادةِ التي هي حقُّ الله[2] إلى سواه . فكيف لا يكون وثنيًّا مشركاً مَن انصرف بكل قلبه وعقله ونفسه ، وبكل ثقته واعتماده وإيمانه أيْ بكل عبادته - إلى أيِّ شيءٍ مِنْ أشياء الوجود - غيرَ مكترثٍ بالخالق العظيم ، ولا مُهْتَمٍّ بأداء حقه سبحانه وتعالى .

وهذا سيّدُنا ابراهيمُ مُشَيِّدُ بيتِ الله الحرامِ ، لعبادة الله الخالق العظيم وحدَه ، وماحِقُ الوثنيّةِ ، وراجمُ أنصابِها ، في جزيرة العرب ، كان يتوقّعُ عودةَ عبادتِها ، — على الرغم من نسك الرجم — لِسَعَةِ أساطيرها المضلة أكثرَ البلاد التي

---

(١) مريم ٢٢و٢٣و٢٤

(٢) جاء في حديث معاذ بن جبل قال رسول الله « حق الله على أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

مرَّبها وبلَّغَ فيها دعوة الله ، ولكبير خبرته بتغلغل وراثاتها في أعماق النفوس ، ولطولِ ما أبلى في معالجةِ أدوائها المستعصيةَ ، فيسأل اللهَ أن يقيَه شرَّ عبادتها وبنيه «وَإِذْ قال إبراهيمُ رَبِّ اجْعل هذا البلدَ آمنا واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نعبدَ الأصنامَ . رَبِّ إنهُنَّ أَضلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ، فمن تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غفور رحيم»[1].

وما كان طلبُه من المولى الكريم أن يريَه مناسك الحجّ إلا لتكونَ مُقَاومةُ الوثنيَّةِ عمليَّةً أبدية مشاهدة : «وإِذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربنا تقبَّلْ مِنَّا إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ . رَبَّنَا واجعَلْنا مُسْلمَيْنِ لكَ ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وأرِنَا مَنَاسِكَنَا وتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أَنتَ التَّوابُ الرحيم»[2]

ولقد مارستُ مناسك الحج مراراً ، وشاهدتُ جماهير الممارسين ، فلم يأخذْ نُسُكٌ مِنْ مناسك الحجِّ مِنْ أعماق نفسي تفكيرَها واعجابها بما يحويه من أغراضٍ بعادٍ ، ذاتِ منافعَ وقيمٍ كبيرةٍ ، لشفاء أمراضِ الأنفُسِ ، من شتّى

---

(١) ابراهيم ٣٥و٣٦ (٢) البقرة ١٢٨و١٢٩

أدواء الوثنيات والإشراك ، ما شاهدته في رجم الجمار القائمة بمنى . منظرٌ وايمُ الله يروعُ : هؤلاء الصينيون وهؤلاء الهنود والفرس والأفغان ، وهؤلاء وأولئك من هنا وهناك ، الجميع تركوا في بلادهم ، مواطنين لهم ، لا يزالون غرقى في وحول الوثنيات والاشراك ، وأتوا الى البلاد المقدسة ، ليقفوا موقف أبي الأنبياء ، ومن تبعه ، فيرجمون معالم الوثنية ، كما رجمها أبو الأنبياء ، وهم ينظرون إلى السماء فيرون الوجود وأبعاده ، وعوالمه الكبرى ، واجرامه الهائلة ، كيف تضؤلُ في أعينهم ، حتى تستحيل في حجم حصيات الرجم ، حين يصرخون بكلمة العزة الإلهية «الله أكبر» . وكيف تكبرُ حصياتُ الرجم في أيديهم بسر كلمة العزة الإلهية ـ الله اكبر ـ حتى تحرق كلَّ وثنيات الأرض ، وتجعلها رماداً عاصفاً في قلوبهم.

أرأيتم لو أنَّ جماعةً منْ فلاسفةِ العلماء ، وقفوا يحاضرون الناس الأيامَ المتتابعة ، في الحط من شأن أنصاب الوثنيات والشرك ، وعبادتها والعكوف حولها واللجوء إليها في الشدائد . ثم أتى أميٌّ واحد ، وتناول

حصاةً صغيرةً ، ورفع يدَه بكبرياء الإيمان . وهو يَصْرُخ أمامَ الجماهيرِ ، ـــ الله اكبر ـــ اللهمّ رجماً للشيطان ، وإرضاءً للرحمن . ورَمى بها وَجْــهَ النُّصْبِ المعبود من دون اللهِ الخالقِ العظيم . فهَلْ تُحدِثُ المحاضراتُ الطِوالُ العراض بعضَ ما تحدثُه هذه الحركةُ العمليّةُ المشاهَـدةُ ؟ ! لا لا . وكم تَصْغُرُ في أعْيُنِ الجماهيرِ هاتيك الانصابُ ؟ ا حين يشاهدون هذا الناسكَ الجريءَ ، يقذفُها بحصياته تحقيراً لشأنِها ، ولا يُبالي ، وهي قابعةٌ في مكانِها ، لا تستطيعُ أن تدفعَ عن نفسها شيئاً . لا ريبَ أنها تَحْترِقُ حتى تُصبِحَ رماداً عاصفاً في قلوبهم . إذن فللاسلام غاياتٌ كبيرةٌ حكيمةٌ في إبقائه ، على نُسُكِ الرجم ، كما كان في الحنيفيةِ دينِ ابراهيم عليه الصلاة والسلام منذ أربعــين قرناً . ذالك لأنّ وراثاتِ الوثنيّات والإشراك ، متغلغلة في أبعد أغوار النفوس ، وأنها تتخذ في كلّ عصرٍ الواناً شتّى من المظاهرِ ، فهيَ تارةً تبدو في عبادة الرغبات ، وأحياناً في عبادة المال والنفس ، وطوراً في الصَّغارِ الآثم لذوي السلطان . كما قال بعض الحكماء : « كلُّ ما عُبدَ من دون الله ، بل كلُّ ما يشغل عن عبادةِ

الله فهو صنم » . ورحم الله أبا عبادة البحتري. الذي يقول :

« مالنا نعبدُ العبادَ إذا كان إلى الله فقرُنا وغنانا »

وهل كان غيرُ الشيطان مثيراً ، لكلِّ هاتيك الوثنيات وهل يتمثلُ الناسك الراجم في الجمرة الماثلة حياله سوى وجه الشيطان

ومن السخافة بمكان أن ابليس اللعينَ الذي يحرك البشرية أبداً الى الوثنيات توجعه الاحجارُ الضخام ، أو الرصاصُ أو المدافع ، لا لا . إن التي توجعُه حقاً وتسحقُه سحقاً هي كلمةُ العزةِ الإلهية « الله اكبر » وما جعلتِ الاحجارُ الصغار للراجم إلا للتربية العمليَّة المشاهدة التي يعتبرها علماء النفس اليوم أعمق تربية تحدث أطيب الآثار .

ومن الطفولة العقلية التي لا تزالُ تلازمُ الانسان المحدود بظاهر معارف المادة ، حين يتخيَّلُ أنه احاط علماً بكل أسرارِ الوجودِ ، وغاياته وعوالمه ونواميسه ، وانه أصبحَ أهلًا لِان يُصْدر فيه أحكامه ونظرياتِهِ ، فتراه يأخذ في السخرية وألْهَمْزِ وَٱللَّمْزِ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ مقام الله الخالق العظيم ولا متأدب ، اذا كانت معارفُ عصره لا تزال دون بعض اسرار الوحي الآلهي .

وهكذا استعجل بعضُ الاغرار السَّطْحِيّينَ ، وأخذوا يَسْخَرونَ مِنْ شأنِ نُسك الرَّجم ِالعَمَلِيّ ، جاهلينَ أسرارَه ومَنافِعَهُ وقيَمَهُ ، ولو كان للمساكين علمٌ بأن علوماً كثيرة ستحدث في الوجود ، تكشِفُ من خفايا النفسِ والاجتماع ، ما هو مجهول لهم ، وأنَّ نُسَكَ الرجم سيكونُ في يوم مَحَلَّ اكبارِ هاتيك العلوم واعجابها . لما سقطوا في ظلمةِ الكفرِ بجلالِ ما شرع الله لعبادِهِ من خير .

ألَا إنَّ نُسكَ الرجم من مُعجزات الحج الكبرى ، وإنَّ آثاره في التهذيب النفسي العملي ، لا تنتهي بانتهاء أعمال الحج بل تظلُّ صورها ماثلةً أمام أعْيُنِ الحجاج ما ظَلَّتِ الحياة .

١٠ وقت رمي الجمار

في يوم عيد الأضحى يتمُّ اجتماع الحجاج في منى ، ويومُ عيد الأضحى يسمى يوم النحر ، لِأَنَّ الهَديَ والأضاحي تنحر فيه ،[1] وَنَحرُها يكون بعد رمي جمرةِ العقبة الاولى . الكائنة

(١) الهدي ما يقدم هدية الى الحرم من المواشي - الابل البقر الغنم - ومنه دم التمتع والقران والدم الواجب لترك واجب أو أتيان محظور. والاضحية واحدة الاضاحي وهي ما تنحر تقرباً الى الله تعالى في ايام النحر وهي واجبة عند ابي حنيفة على الموسر ، سواء كان حاجاً او غير حاج . وسنة مؤكدة عند البقية . الا انها لا تطلب من الحاج عند مالك

شِمالَ المقبل من مكة .

ووقتُ الرجم يبتدئ بعد طلوع الشمس ، ويكون بسبع من الحصيات المجموعات من مزدلفة ، ويقول لدى رجم كل حصاةٍ : «الله أكبر اللهم رجماً للشيطان ، وارضاءً للرحمن» وبعد نهاية الرجم ، يكون ذبح الفدية ثمّ التحلل من الاحرام بحلق الرأس او تقصيره . وهذا هو التحلل الاصغر ، ويجوز لك فيه كُلُّ مُحرَّمَاتِ الإحرام ، ما خلا النِّساء ، واضاف مالك إلى النساء الصيدَ في ابقاء التحريم .

١١ طواف الافاضة :

ألا إن للافاضة طوافاً ، كما أن للقدوم طوافاً ، وللوداع طوافاً ، وطوافُ الإفاضة ركنٌ أصيلٌ بينَ مناسك الحج ، ويسمى أيضاً طواف الزيارة . ويُسَنُّ أن يكونَ بعدَ التحلُّلَ الأصغر . أي يفيض الحاجُ بعده في يوم النحرِ الى مكة ، ويطوفه ومتى طافه تمَّ له التحلُّل الاكبر ، وحلت النساء والصَّيْدُ

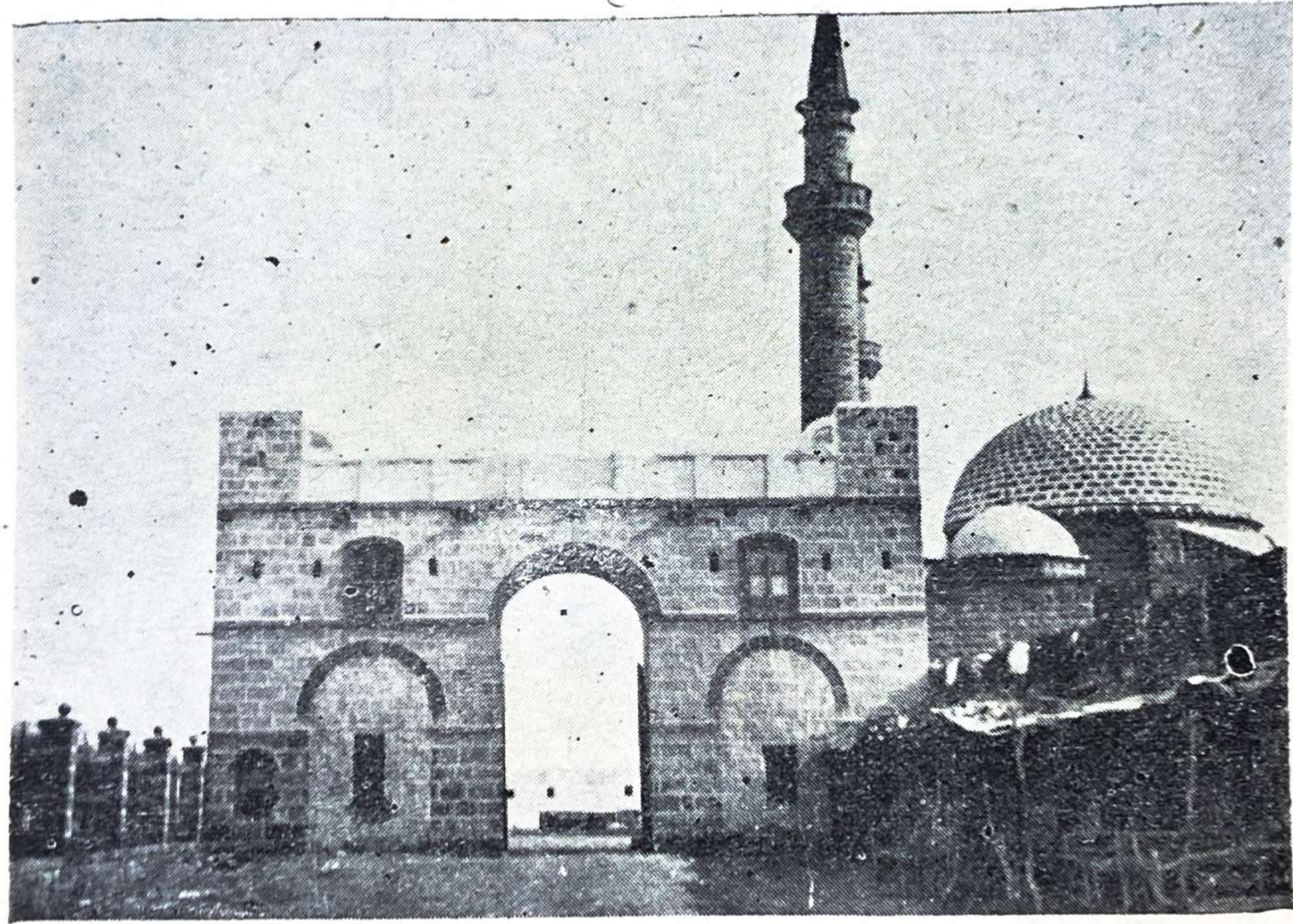
١٢ – العودة الي منى

أيامُ التَّشريق الثلاث هُنَّ اليومُ الثاني والثالثُ والرابع

من أيام العيد ، وفي أيام التشريق الثلاث جعل رجم الجمرات الثلاث . ويجوز الاقتصارُ على رجمهن في يومين ، فمتى انتهيت من طواف الزيارة فعُدْ إلى منى في يَوْمِ النَّحْرِ نفسه، وبعد ظهر غده أي في أولِ أيَّامِ التشريق الثلاث، إبدأ برَمْيِ الجمرةِ الصغرى وهي قريبة مِنْ مسجدِ الخَيْف ، ثم الوُسْطى ، وهي في السوق ، ثم جمرة العقبةِ ، وارمِ كلَّ جمرةٍ بسبعِ حصياتٍ أيضاً ، وفي اليوم الثاني . الرجمُ والوقتُ هو هو . ولكن جعل ابتداء وَقتِ الرجم من الفجر في اليوم الثالثِ فقط تخفيفاً لمن آثر البقاء ، في كلِّ أيامِ التشريق الثلاثة . ولم يُرغبْ في التعجُّل .

١٣ ـ طواف الوداع

إذا اعتزم الحاجُّ مُغادرةَ الحرم ، يجب عليه أن يطوفَ طوافَ الوَداع ، وهو سنة عند مالك ، وواجب عند الثلاث. ويُسمَّى طواف الصَّدَر ، والصدر هو العَوْدةُ إلى الأَوطان . وللفقهاء رضوان الله عليهم أبحاث جدُّ نافعة حولَ الحج أرجأتُ الإفاضةَ في تفصيلها لكتابٍ آخرَ إن شاء الله تعالى ...



ترى (باب العنبرية) والمسجد الذي شيده السلطان عبد الحميد رحمه الله
في ساحة محطة الخط الحديدي

١ – تربتها

إن لجوء الانسان الى المواطن الخصبة طبيعي، وبالحري اذا كان مسكنه في الصحارى والقفار. ولما كانت دار الهجرة وادياً مستطيلاً مترامي الاطراف، فسيحاً متعرجاً جيد التربة، وكانت السيول العارمة: كسيل سيد الشهداء، «حمزة بن عبد المطلب»، وسيل العقيق، وسيل بطحان المعروف اليوم بسيل أبي جيدة، يتسرب في تربته من أمواهها ما يتسرب، بله الامطار التي تهطل بغزارة في بعض السنين، وإن كانت لا تتجاوز الساعات، او الايام بصورة متقطعة أمه الناس، على أن سيل العقيق هو أعظم السيول بركة على المدينة وأرباضها، لسعته وارتفاعه وغزارة مياهه. ومجيئه لدى أهل المدينة، بشرى وطالع يمن، ومن السنة الخروج له، والترفه بمنظره، وهو ينهب الأرض نهباً، ويسكب في أعماقها من نضرته وخصبه ما يسكب، لذلك نجد هذا

الواديَ الفسيحَ ، كثيرَ العيون ، جمَّ الآبار ، ومياهُها قريبةٌ من سطح الأرض ، بنسبٍ متفاوتةٍ في ناحيةٍ وناحية وهي في الغالب عذبةٌ خفيفةٌ . وقد تدنو إلى الملوحة ، في بعضِ آبارها ، وقد تكون في البعض مِلحاً أجاجاً وَفق التربةِ المستقرة فيها . وبحكم هذه الخصوبةِ في تُربتِها ، والمياهِ الغزيرةِ المُتوفِّرَةِ فيها نجدُها آهلةً بالساكنين منذ أبعد الأزمان إلى اليوم ، والمدينةُ لاتحتاجُ إلّا إلى نشاطِ أهلها لِتكون أخصبَ بلادِ العالم .

٢ – سكان دار الهجرة

أوّلُ ما عرف المؤرخون من أهلها الساميين ، سكان جزيرة العرب القدماء ، الذين عُرفوا بالشام بالكنعانيين والفينيقيين ، وفي العراق بالكلدانيين والأشوريين ، وفي مصر بالهوكسوس . أو الرعاة وأَطلقَ عليهم المؤرخون العربُ ، اسمَ العمالقة لفرط طولهم ، وشدةِ بأسهم ، وقوّةِ شكيمتِهم . ولهؤلاء العمالقة ترجعُ أنسابُ كلِّ ابناء المجتمع العربي ، لأنّ العربَ المستعربة أبناء اسماعيل ابن سيدنا إبراهيم الخليل ، وسيدنا ابراهيم من الكلدان .

وفي القرن السادس قبل الميلاد ، حينَ هاجم بختنصر

البابلي بيتَ المقدس ، وساق الاسرائيليين سبايـا إلى بلاده ، فرَّ كثير منهم من وجْهِهِ ، ولجأوا الى مصر ، وجزيرة العرب ، وفى القرن الأَول الميلادي ، هاجر آخرون منهم أيضاً الى بلاد العرب ، نجاةً بأنفسهم من بطش «تيطُس» الروماني الذي خرَّبَ القدسَ الشريف ، وهدمَ المسجدَ الأقصى ، «هيكل سليمان» ، وقد توزع هؤلاء وأولئك في بلاد العرب ، فجماعةٌ استوطنوا وادي القرى ، وجمـاعة تيماء « البلاد التي سميت باسم تيم بن اسماعيل بن ابراهيم الخليـل ، المعروف في التوراة بتيمان . وفريق اختار سكنى المدينـة ، وهؤلاء هم بنو قريظه وبنو النضير وبنو قينقاع [1].

وفي القرن الخامس بعد الميلاد [1] حـين تخوّف اليمانيون انهيارَ سد مأرب فجأة ، لعدم اهتمام حكوماتهم باصلاحه وترميمه هاجر أهلُ الحزم ، والبصرِ بعواقب الأُمور إلى الحجـاز

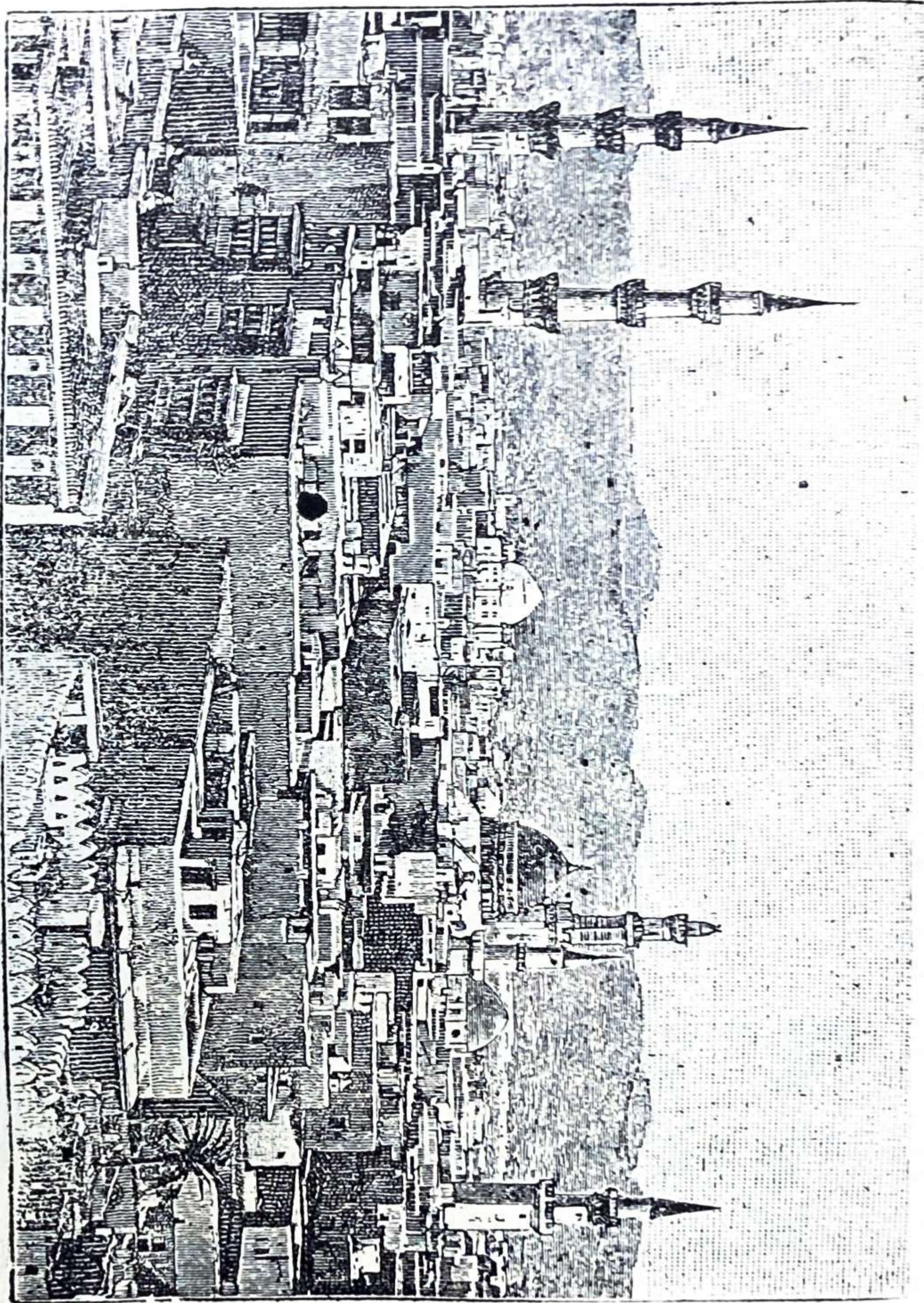
---

(١) راجع تاريخ اليهود في بلاد العرب لاسرائيل ولفنسون ص ٩ و ١٠ وذكر صاحب الاغاني في ج ١١ ص ٩٤ ان ذلك كان في عصر سيدنا موسى ، وشك في ذلك المؤرخ الكبير بن خلدون في تاريخه ج ٢ ص ٨٨ .

(١) اي في عهد الملك حسان ، هذا تحقيق بن خلدون وياقوت راجع دائرة معارف وجدى مادة عرم . وحقق سواهم أن ذلك كان في القرن الثالث قبل الميلاد

والشامِ والعراق . وقد اختار سكنى الحجاز ، بنو عمرو بن ثعلبة ، ومن لحق بهم ، وفضلوا المدينة ، لما كانت عليه من وفرة الخيرات ، وإفاضة الأرزاق ، وكثرة البساتين وغزارة المياه . وقيل هاجروا بعدَ انهيارِ السد ، والظاهرُ أَنَّ جماعةً هاجرتْ مِنْ قبلُ وجماعةً مِنْ بَعْدُ

وفي القرن الأول الهجري ، هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وآلُ بيته ، وأَصحابُه الى المدينة . ثم تتابعت اليها هجراتُ المسلمين من الاقطار كافة . ومن أَجل ذلك أُطلِقَ عليها اسم « دار الهجرة » . ولدى أهل المدينة أُرُومات تذكرُ أصلَ كل أسرة من أُسَرِها .



المدينة المنورة

٣ – المدينة دار الهجرة في الاسلام

اختار اللهُ أن تكون « طيبةُ » تلكم المدينةُ الصغيرة في جزيرة العرب ، دارَ هجرةٍ لخاتم أنبيائهِ ورسله ، وليس هذا بالقليل أبداً . فإن قيمةَ الأرضِ بقيمةِ المعنى الذي تحويه وهل في الأرضِ جمعاء ، معنى أكبرُ من هذا المعنى ، الذي أودعه اللهُ هذه المدينةَ الصغيرة ، الكبيرةَ بهجرةِ رسوله صلى الله عليه وسلم . وهي في الاسلام دارُ هجرة إلى يوم القيامة ، ولها هجرتان : خاصة وعامة . ولهجرتها الخاصة من الالطاف الإلهية ، وغامر التجليات ، وكبير الموازين ، وفضل السابقة ، ما يجعلها فذةً في تاريخ الانسانية . وكيف لا تكون فذةً في تاريخ الانسانية . وهي هجرةُ الرسالةِ والوحي والخلودِ والهدى والخير ، هجرةُ التقوى والايثارِ والرغبة فيما عند الله ، هجرةُ العدلِ المثالي ، والحكومة الانسانية والخلفاء الراشدين والقواد النبلاء ، والولاةِ الزاهدين . يكفي أنها هجرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسابقين الأولين من المهاجرين ، الذين اتبعوه صلى الله عليهِ وسلم في ساعة العسرة ، ورضيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه ، وأعدَّ لهم سعادةَ دارِ الخلود : « والسَّابقُون

الأوَّلونَ مِنَ المهاجِرينَ والأنصارِ ، والذينَ اتَّبعُوهم بإحسانٍ ، رَضِيَ اللهُ عنهمْ ورَضُوا عنهُ ، وأعدَّ لهم جناتٍ تجْري تحتَها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً . ذلك الفوزُ العظيمُ »[1] وهذه الهجرة الخاصةُ ، كانتْ نتيجةً محتومةً بعد وفاةِ عمه الغيور أبي طالب ، وزوجِه الرؤوم خديجة . لتفاقم ضغط قريش ضِدَّه ، واشتدادِ أذاهم له ، ومتابعةِ التضييق عليه ، وتدبيرِ المؤامراتِ الظالمة للفتك به : « وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ، هي أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أهلكناهم فلا ناصر لهم »[2] . هذه هي الهجرةُ الخاصَّةُ ، وقد انتهت أحكامُها بانتهاءِ فتح مكة . وقد حظي بها مَنْ كتب اللهُ له في لوحِ مقاديرِهِ السَّبْقَ والخلودَ والفضل الذي لا يوازيه فضل . وبعد أن شرَّف اللهُ طيبةَ بالهجرةِ النبويَّةِ الخاصة كرَّمها تكرمةً لنبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وعظَّمها تعظيما له ، بأنْ جعلها دارَ هجرةٍ عامةٍ إلى يومِ القيامة ، ومَثوبةُ هذه الهجرةِ سابغةُ الهبات ، وفضائِلها لا يستهان بها . ولو لم تشتمِلْ إلّا على شرفِ الوفاةِ بها ، واحرازِ شفاعته

(١) التوبة ١٠٠ (٢) محمد ٤٧

الخاصة ، وطرحِ هذا الجسد العاني الرازح ، وديعةً في رحاب البقيع المطهر ، لينعم بكريم جواره صلى الله عليه وسلم ، ألكفى أن يكونَ ذلك خيرَ حافزٍ خليقٍ بالتضحية والمفادات لقوله عليه الصلاة والسلام : « من استطاع أن يموت في المدينةِ فليمُتْ ، فاني أشفع لمن يموت بها ، وقوله : « مَا على الأرض بقعةٌ أَحبُّ إليّ مِن أَنْ يكونَ قبري بها منها »[1] وهذا دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البخاري : « اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك ، واجعلْ موتي في بلدِ رسولِكَ » . فَلَوْ لم يطلع اللهُ رسولَه على خصائصَ كريمةٍ مُشوّقةٍ للوفاةِ بها لما رُويَ حثُّه للمؤمنين أن يبذلوا استطاعتَهم ، ليظفروا بالموتِ فيها ، ولا رُوِيَ نبأُ أمنيته العزيزة أن تضُمَّ رَمْسَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، ويكفي المؤمنين ترغيباً وعدُهم بنيل شفاعتهِ الخاصة . وما هي بالقليلة ، بَلْهَ جوارَهُ الذي ، لا تعدِلُه الموازين الرَّجحة بالعطايا والمنح .

وهذه الهجرةُ العامة باقيةٌ الى يوم القيامة ، وأبوابُها مفتوحةٌ دائماً ، وتنالُ بكل سهولة ، اذ لا توضعُ دونها الحواجزُ

---

(١) رواه مالك عن يحيى بن سعيد

والعراقيلُ لقوله عليه الصلاة والسلام : « .. والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»[1] وثبتَ أنّ إمامَ دار الهجرة مالكَ بنَ أنس ، حين رفض طلب الخليفة العباسي هارون الرشيد، في الشخوص معه الى بغداد ، احتج لرفضه بهذا الحديث الشريف الذي جمل الخليفة يعفيه ، من تركِ المدينة المنورة ،وهو الملّح في صحبته.

٤ – فضل دار الهجرة

إنه ليتفاوتُ فضلُ البلادِ ، بنسبة ما تقدمُ للانسانيةِ من المُثُلِ التقدميةِ العمليَّةِ ، التي تحيي فيها ، مَواتَ معنى الانسان ، وتستكملُ له السَّيْرَ التطوريّ ، في محيط الكمالاتِ الممكنة ، وليس بنسبة ما تشتمل عليه من ضخامة الآثار الهائلة ، والقصور الشاهقة المترفة ، والحدائق الغناء ، بل ولا بنسبة ما تشتمل عليه من الجامعات الواسعة ، والمكاتب الضخمة ، والقوى الحربية المدمرة ، والجيوش الجرارة ومغاور القلاعِ المنيعة في أعماق الارض . فقد يبلغُ معنى الانسان من الهوان والضعة ، حتى يمسي في الاولى ، أمثال سيدِنا موسى ، وسيدنا المسيح وسيدنا محمد ، موطنَ التفكه والسخرية

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

وحتى يمسي معنى الإنسان في الاخرى تمثالاً خداعاً من مظاهر المادة الصماء، لا يمثل إلا نفسه.

وليس في الأرض مدينةٌ على الاطلاق، قدمت للانسانية مِنَ ٱلْمُثُلِ ٱلتَّقَدُّمِيَّةِ السامية، ومِنَ ٱلمثاليَّاتِ العمليَّة في كلِّ نواحي الحياة، ما قدمته مدينةُ رسولِ الله، بعد هجرته إليها.

واذا كانت الدَّعاوَى لا تَصْدُقُ، إلا بشواهدِها الواقعيَّةِ اليقينيَّة، فإنّ القرآنَ المجيدَ ـ والحمدُ للهِ الذي تكفَّلَ اللهُ بحفظه وحده ـ هو شاهدُ عيانٍ على كُلِّ ذلك. ومِنْ هُنا استحقت هذه المدينةُ الخالدة، من الله سبحانه وتعالى، التكرمة والرعاية والحفظ.

أجل يعلم المسلمون جميعاً : ـ

١ ـ أنَّ المدينة المنورة أصبحت مرجع الإيمان ومثواه دائماً: « إنَّ ٱلإيمانَ ليأرزُ الى المدينة، كما تأرِزُ الحيةُ إلى جُحْرِها »[1].

٢ ـ وأنها طاهرةٌ مُطَهِّرَةٌ تنفي شرارَ الخلق الأخباث :

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة.

« إنها تنفي الرّجالَ ، كما تنفي النارُ خبثَ الحديد » (١)

٣ ــ وأنها حرمٌ : « إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ ، وإني أُحرِّمُ ما بَيْنَ لابتيْهَا » (٢)

٤ ــ وأن سكانها محفوظون برعاية الله : « لا يكيدُ أهلَ المدينةِ أحدٌ إلّا انماعَ كما ينماعُ الملحُ في الماء » (٣) وما أصاب يزيد الخبيث بعد وقعة الحرة وتهجمه على سيّد شبابها الإمام الحسين ، فيه كلُّ العِبرة (٤)

٥ ــ وأنها محفوظةٌ مِنْ دُخولِ الدَّجالِ ، ووقوعِ الطاعون « على أنقابِ المدينةِ ملائكةٌ ، لا يدخُلها الطاعونُ ، ولا الدَّجالُ » (٥).

٦ : وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، دعا لها بمزيد البركة : « إنَّ ابراهيمَ حرَّمَ مكةَ ، ودعا لأهلها بالبركة ، وإني حَرَّمْتُ المدينةَ كما حَرَّمَ ابراهيمُ مكةَ ، وإني دعوتُ في صاعها ومدّها

---

(١) رواه البخاري . والمقصود اخباث الرجال الاشرار بقرينة المقابلة بخبث الحديد والحديث جابر المدينة كالكير تنفي خبثها ، وينصع طيبها . (٢) رواه مسلم . (٣) رواه مسلم.
(٤) اما ما ينسبه القصاص من باحة اعراض المهاجرين والانصار في وقعة الحرة ، فهو من دس البشر بعضهم على بعض لاهواء وفتن باطلة ، والتاريخ مشحون بامثال ذلك . اما يزيد الخبيث فيكفيه حطة في الدنيا والاخرة مقتل سيدنا الامام الحسين رضوان الله عليه .
(٥) متفق عليه .

بِمِثْلَيْ ما دعا إبراهيمُ لأهل مكة » [١]

٧ : وأنَّ رسولَ الله كان حريصاً أن تظلَّ ناضرة خضراء مزدهرةً بالسُّكان ، فهؤلاء بنو سلمة حين أحبُّو أنْ يتركوا مزارعهم ليقتربوا من المسجد ، منعهم صلى الله عليه وسلم حيث قال : « يا بني سلمةَ ألاَ تحتَسِبون آثارَكم ، فأقاموا » [٢]

٨ : وأن الصبرَ على شدتِها من المثوبات العظيمة : « لا يصبرُ على لأْواء المدينةِ وشدتِها أحدٌ من أُمّتي إلا كنتُ له شفيعاً يومَ القيامة ، أو شهيداً » [٣] ؟

وأنَّ مثوبات الاعمال بها تضاعف : « صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من الف صلاةٍ فيما سواه من المساجدِ إلا المسجدَ الحرام » [٤]

وأن الشرفَ الذي لا يَعدِلُه شرفٌ والفضلَ الذي لا يَعدلُه فضلٌ هو دَفْنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وآلِ بَيتِه وأصحابِه فيها ، اللّهم تفضلْ عليّ بجعل مثواي بها ، إحساناً منكَ وفضلا

---

(١) رواه مسلم (٢) رواه البخاري (٣) رواه مسلم

(٤) اخرجه الستة ما خلا أبى داود

لا يعرفُ فضلَ جيرانِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، إلا الذين يعرفونَ فضلَ رسول الله نفسه، وأيُّ فضلٍ في الدنيا أجلُّ وأكبرُ من فضلِ المجاورةِ لمَهْبِطِ الوحي. أذ هي ميزةٌ تسمو على كلِّ الميزات، بل لا تُماثِلُها ميزةٌ، مهما كانت ساميةً جذابةً في نظر الناسِ. كلُّ الميزات تَنْبُعُ مِن الأَرض أما هذه فتنسكبُ مِنَ السَّماء صافيةً وَضَّاءةً، قِوامُها الوحيُ والروح، فيشِّعُّ منها صِدقُ الإِتّباع، والتقوى والخلقُ الحسن، ألا في جوار رسولِ الله، تطهر الجوارحُ من الأَغيار، وتخلصُ العبادةُ للهِ الواحد القهار، وتَحْسُنُ التَّوبَةُ إليه، وَيَعْظُمُ طلبُ ما عندَه، ويُرَغَبُ فيه على كلِّ شيء.

وفي جوارِ رسولِ الله، يجدُ المؤمنُ حلاوةَ الإِيمان التي ذكرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وَجدَ حلاوةَ الإِيمان، أن يكونَ اللهُ ورسولُه أَحبَّ إِليهِ مِمَّا سواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ، لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يكرَهَ أن يعودَ في الكفر، كما يَكرَهُ أن يقذفَ في النار»[1]

(١) رواه البخاري عن انس رضي الله عنه

وفي جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشعرُ المؤمن بطمأنينة الرحمةِ الآلهية ، في نفسه وما له وولده ، وفي كل ما يحيط به .

نعم كلُّ الرسالاتِ السماوية قِوامُها ، رحمةُ اللهِ التي يرحمْ بها عبادَهُ . هذا حقٌّ ولكنَّ اللهَ لم يجعلْ خاتمَ الأنبياء والمرسلين رحمةً لعالمٍ دون عالمٍ ، بل جعلَهُ رحمةً للعالمين جميعاً ، وأعلن ذلك في وَحْيِهِ : وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ،

وبركاتُ رحمة الله تتناولُ حتى الأَرض ، فهذا الوحيُ الإلهي قد جاء فيه ، ثناءُ اللهِ على المسجد الحرام الذي شيده سيدُنا ابراهيم ، وعلى المسجد الأقصى الذي شيده سيدنا سليمان » وعلى المسجد النبوي الذي شيده سيدنا محمد . وهل كانت مكةُ مكرمةً والقدسُ شريفاً ، والمدينةُ منورةً ، لولا بركات رحمة الله التي انزلها على سيدنا ابراهيم وسيدنا سليمان وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

يا لله كم هي عامةٌ وشاملة بركات رحمة الله ، التي خص بها خاتمَ أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم ، بل إن عمومها وشمولها لا يُدركُ أقدارها على وجهها الصحيح ، الا الذين

يفقهون أسرارَ قوله تعالى : « وما ارسلناك إلا رحمةً للعالمين » .
وإذا كان لكل العالمين نصيبٌ مؤكد بلسان العزة الآلهية ، من مواهب رحمة الله لسيدنا محمد ، فكم يكون واسعاً نصيبُ جيرانه الابرار ، الذين يتأدبون بآدابه ، ويستمسكون بسنته ، ويروحون ويغدون بين يدي معالمه ، وفي أحضان آثاره ، لا ريب إنه كبير ، إنه عظيم ، إنه جليل .
وقد كان المسلمون من السلف الصالح ومَن تأسَى بهم تأخذهم جواذبُ الإكبارِ والحب ، لهذا الجوار الكريم ، افراداً وجماعات ، تأخذهم إما بالهجرة إليه ، وإما بارتياده وإما بإقامة الأوقاف والأرصاد له ، وإما بكتابة المؤلفات والتغني بامجاده وآثاره ، والتنويه باقداسه وبركاته .
وما كان حبُّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أعمالاً برة مؤمنة خالدةً من انطباع التأسي بأعماله . فيها بذلُ النفس والنفيس في سبيل الله بصمتٍ وخشوع ، ونسيانٍ لها وإن ذكرها الناس ، وتخلٍّ عنها ، وإن لم يتخلّ عنها الناس ، وعَدَمِ الزهوِّ بها ، وإن زها بها الناس : لأنهم يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم هادمُ الوثنيةِ والشرك حتى في القصدِ والنية ، ومعلّمُ الناس جميعاً

الاحسانَ والتوجُّهَ الى الله وحدَهُ في مقاصد أعمَالهم : « من أحبَّ لله ، وأبغضَ للّهِ ، وأعطى للهِ ، ومنعَ لله فقد استكْملَ الإيمان »[1] ويعلمون أن حياتهم وسعادتهم واجتماعهم وخلودَهم لن يكون كاملًا إلاّ بالسَّيْرِ على أقدامه ، والاخلاص في حبه اكثر من المال والولد والنفس . كما قال لعمر بن الخطاب حين قال له ذلك : « الآن تمَّ إيمانُك » . ومن حبِّه صلى الله عليه وسلام ، الاهتمامُ بدار الهجرة ، وتعهدها بالاصلاح والبرِّ والتقوى ، وحب أهلها ، هكذا كان سلفنا الصالح ، وما كانت الخلافة والسلطانُ الواسع ، ولا النفوذ الكبير ، وثراؤه الجم ، ومشاغله التي لا تكاد تنتهي ، ولا الدنيا ومفاتنها وزخارفها ، ولا المراتب العليا ، والوظائف الكبرى ، ولا الغنى والجاه والقصور والاثاث والرياش ، والشرف والبذخ ، بالصارفةِ نفوسَهم عن التماس البركات ، وطلب مرضات الله ، لدى ارتيادهم معالم طيبة وتعهدها بالرعاية والحفظ ، لأنهم يعلمون يقيناً أن انقطاعهم عن الأسوة الاعظم صلى الله عليه وسلم بأعمالهم وقلوبهم وموداتهم واموالهم وسلطانهم هو حُكْمٌ مُبْرمٌ عليهم باعدام سلطانهم وسعادتهم في الحياتين .

---

(١) رواه ابو داود عن أبي امامة رضى الله عنه .

ومؤلفاتُ السلف الصالح ذاخرةٌ بأنباء ما جرى لاهل ذلك الجوار العالي الكريم ، مع الخلفاء والأمراء والعلماء وذوي السلطان والجاه ، وما جرى لهؤلاء معهم . إنها صفحات من المجد والهدى والايمان والخير كَتَبَتْهَا يَدُ الزمان بأصابع النور ، لتكونَ خيرَ مُذَكِّرٍ للأجيالِ بكلمة إمام دار الهجرة «لا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»

وقد أراد أمير الشعراء أحمد شوقي أن يصور عمق الايمان الذي كان يحمله الناسُ لأهل دار الهجرة ، في صدر الاسلام، فعرضها في صورة شعرية فنية رائعة : في زيارة بن زريح الاديب المدني ، لنجد ، ونزوله ضيفاً في قبيلة بني عامر ، واحتفائهم به احتفاء كريما يتجلّى مداهُ في هذين البيتين

أمِن يثربٍ أنت آتٍ

أجلْ من البلد القُدُسِ الطيب

أيا ابن زريح لقينا الغمامَ :وطافت بنا نفحات النبي .

ولا ريب أن شرف الجوار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يسكبُ في أنفسِ أهلِه ، اخلاقاً كريمةً كاخلاق النبوةِ ، وشرفاً وإباءً عظيمين ، وهدايةً تبلغُ الأوج ، وإيماناً كأيمان

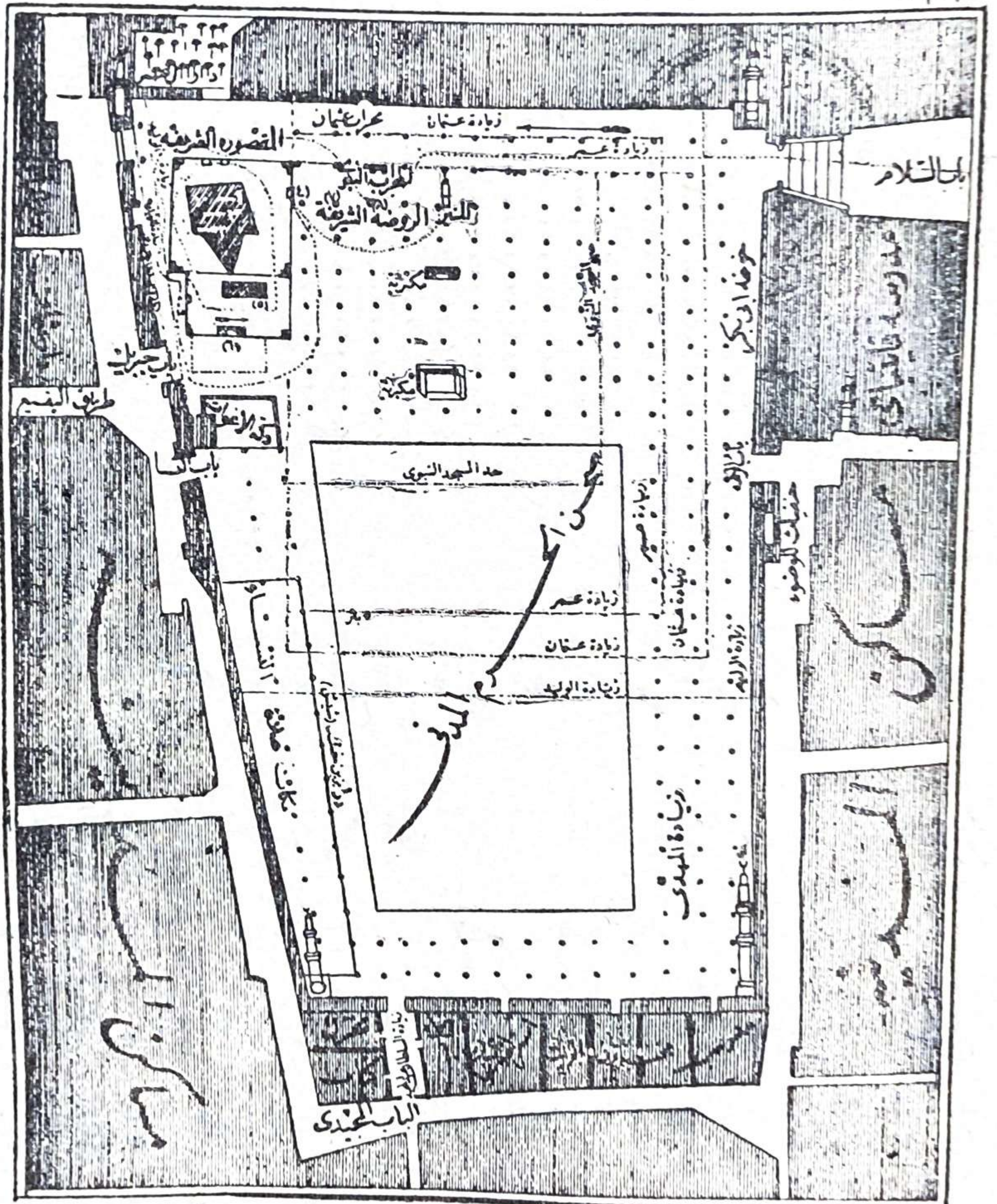
الملائكة، وعفةً وارتياداً لطلب العيش الحرِّ، بكل شجاعة واقدام. وعلى كل حال فقد كرَّم الله طيبة التي طابت به عليه الصلاة والسلام، بأن جعلها دار الهجرة العامة إلى يوم القيامة.

وقد أصبحتْ عاصمةَ الاسلام الأولى بهجرة رسول الله إليها، وحصنَه المنيعَ، ومَشرِقَ شمسِه، ومن أجل ذلك آثر كثيرٌ من المسلمين الاتقياء من أقطار شتى الهجرة إليها، لينالهم وذريَّاتِهم شرفُ الانتماء إليها. وقد ألَّفَ الجوارُ المقدس ذاتَ بينِهم، ووحَّدهم وجعلهم إخوةً متحابين، متآلفين، يُحبُّونَ مَنْ هاجر إليهم، ويؤثرونه على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة. الاسلامُ صقلَ أخلاقهم، والإيمانُ وطَّأ اكنافهم، والعروبةُ هذَّبتْ السنتَهم، فهم أخفُّ العرب السنةً، وأعذبُهم لغةً، لا يعرفون التشدق بالكلمات، ولا الإلتواء ولا التمطق، لأنهم يفرضون على أبنائِهم حفظ القرآن المجيد منذ نعومةِ اظفارهم، ويقيمون الافراح لهم يومَ ختمه.

خريطة

تبين الحرم النبوي الشريف من أول نشأته وما طرأ عليه من الزيادات والتغييرات الى الوقت الحاضر (سنة ١٣٥٧ هـ)

رسم رقم (٤)



(١) قبر الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) قبر أبي بكر رضي الله عنه (٣) قبر عمر رضي الله عنه وجميعها داخل الحجرة الشريفة النبوية
(٤) شباك التوبة (٥) مقصورة السيدة فاطمة (٦) محراب التهجد (٧) اسطوانة أبي لبابة (٨) اسطوانة عائشة .



مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

« لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجدِ الحرام ، والمسجدِ الأقصى » (١)

لم يكن من غرض الوافدين على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو امتاعُ النظر بفخامةِ البناء ، ولا ضخامة القباب ، ولا ارتفاع المآذن ، ولا زخارف الفسيفساء ، ووشي

(١) اخرجه البخاري ومسلم والترمزي

النقوش، وجمال الخطوط الفنية، التي تعرض الآيات والأحاديث والمدائح على الجدران، وفي باطن بعض القباب. ولاهاتيك العمدان الهائلة، المطوقة بقواعد النحاس الصفراء، التي تحمل على اكتافها القباب، وتطِلُّ بهـا الى السماء. وإنمـا الغرض الاساسي، هو التشرف بزيارة مسجد رسول صلى الله عليه وسلم، لِأَنَّ له في أعماقِ قلوبهم، من جلال القيم المعنويَّةِ، وكبـير الاحداثِ التاريخية، وذكريات رسول الله صلى اللـه عليه وسلم، والآيات المنزلة عليه، ما يصرفهم عن الافتتان بتهاويل مظاهره المادّيّة.

وأيُّ شيء يأخذُ بمجامع قلوبهم، مهما حَسُنَ وبهر وفَتَن، وهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه «صَلاةٌ في مَسْجِدي هَـذَا، أَفضَلُ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِي مَا سِوَاهُ إلاّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» (١).

نعم مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن في الدنيا أفخمَ منه مظهراً، ولا أبهجَ زينةً، ولا أحفل بالروح، وإنَّ وفودَه ليعجزون عن وصف ما يخالطُ نفوسَهم، من سعادةِ

(١) متفق عليه

ما هي من هبات هذا العالم الفاني .

وقد اهتمّ به خلفاء المسلمين وملوكهم منذُ العام الأوّل للهجرة ، الذي أنشأه فيه رسولُ الله ، إلى عهد السلطان عبدِالمجيد العثماني اخرِ مَنْ شيده ُعلى حالته الحاضرة عام ١٢٦٥ هـ : هذا يفسحُ من أطرافه وذاك يصلحُ من عماره أو يُجدّدُه ، وذلك يزخرفُه ، ويوقف له الأرصاد ، وهم حينما يَهتمّونَ بذلك حسبَ مقتضياتِ الأزمان،يفهمون أنهم ينالُهم شرفُ الأسْوةِ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إذ هو أولُ مَنْ زاد فيه وحسَّنَه ، بعدَ تأسيسه . كان ذلك في العام السابع الهجري .

واقتداءً به صلى الله عليه وسلم ، زاد فيه مِنَ الخلفاء الراشدين ، عُمرُبنُ الخطاب رضى الله عنه ، عام ١٧ هـ زاد فيه وهو يقولُ : « لولا أنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يَنْبغي أن نزيد في مَسْجدنا ، ما زدتُ فيه » . وأوّلُ مَنْ شيَّدَهُ ، على نَسَق ما جدَّ في المدينةِ مِن عمارٍ ، سيِّدُنا عثمانُ بنُ عفانٍ رضي الله عنه، شيَّدَهُ بالحجارةِ المنحوتة ، والسواري الضخمة ، وجعلَ سقفَهُ مِن خالص السَّاج ، كما أفسَحَهُ مِنْ جهاتِه الأربع ، وظل على الحال التي تركها عليه سيدنا عثمانُ رضي

اللهُ عنه ، إلى عهدِ الوليد فقد شيَّدَه مِن جديد ، وأضاف إليه حُجُراتِ أُمهاتِ المؤمنين كما جاء في رواياتٍ كثيرة . وهو أوَّلُ مَنْ وَشّى حيطانَهُ بالمرمرِ وزخارفِ الفُسَيْفِساء ، وَجَلَّل سقفه الذي جعلَهُ مِن خالص الساج بماء الذهب ، واستمرَّ العملُ في تجديده أربعِ سنواتٍ من سنة ٨٨ ﻫ إلى سنة ٩١ ﻫ وفي العصرِ العباسي ، زاد فيه الخليفةُ المهدي من الجهة الشمالية ، واستمرَّ العملُ فيها خمس سنوات من ١٦١ ﻫ الى ١٦٥ . وفي عهد الخليفة المُستعصِم العبّاسي عام ٦٥٤ ﻫ حصلَ احتراقٌ فيه ، فأخذ في تجديدِهِ من عام ٦٥٥ ﻫ ، ولم ينتهِ البناءُ إلا في عهدِ الظاهر بيبرس .

وهكذا نجد خُلفاءَ المسلمين وملوكهم على مدى التاريخ قد اهتموا بمسجد رسولِ اللهِ في طيبةَ بل بكلِّ مساجده فيها اهتماماً بالغاً حدَّه مِن التضحية والإخلاص والصدق والسهر والبذل . ومن اشهر الملوك والسّلاطين الذين قاموا بالتجديد أو التوسعة ، أو الاصلاح والترميم . الملك الناصر محمد بن قلاوون في الأعوام ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٢٩ ﻫ . والملك الأشرف عام ٨٣١ ﻫ والملك قايتْباي عام ٨٧٩ ﻫ والسلطان

سليمان الكامل عام ٩٧٤ ، والسلطان سليم الثاني عام ٩٨٠ ﻫ والسلطان محمود هو أول مَن شيّدَ القُبّة الخضراء ١٢٣٣ ﻫ ثم كان تجديد البناء الفخم الذي قام بهِ المرحوم السلطان عبد المجيد ، وقد استمرّ العمل ثلاثة عشر عاماً من ١٢٦٥ ﻫ



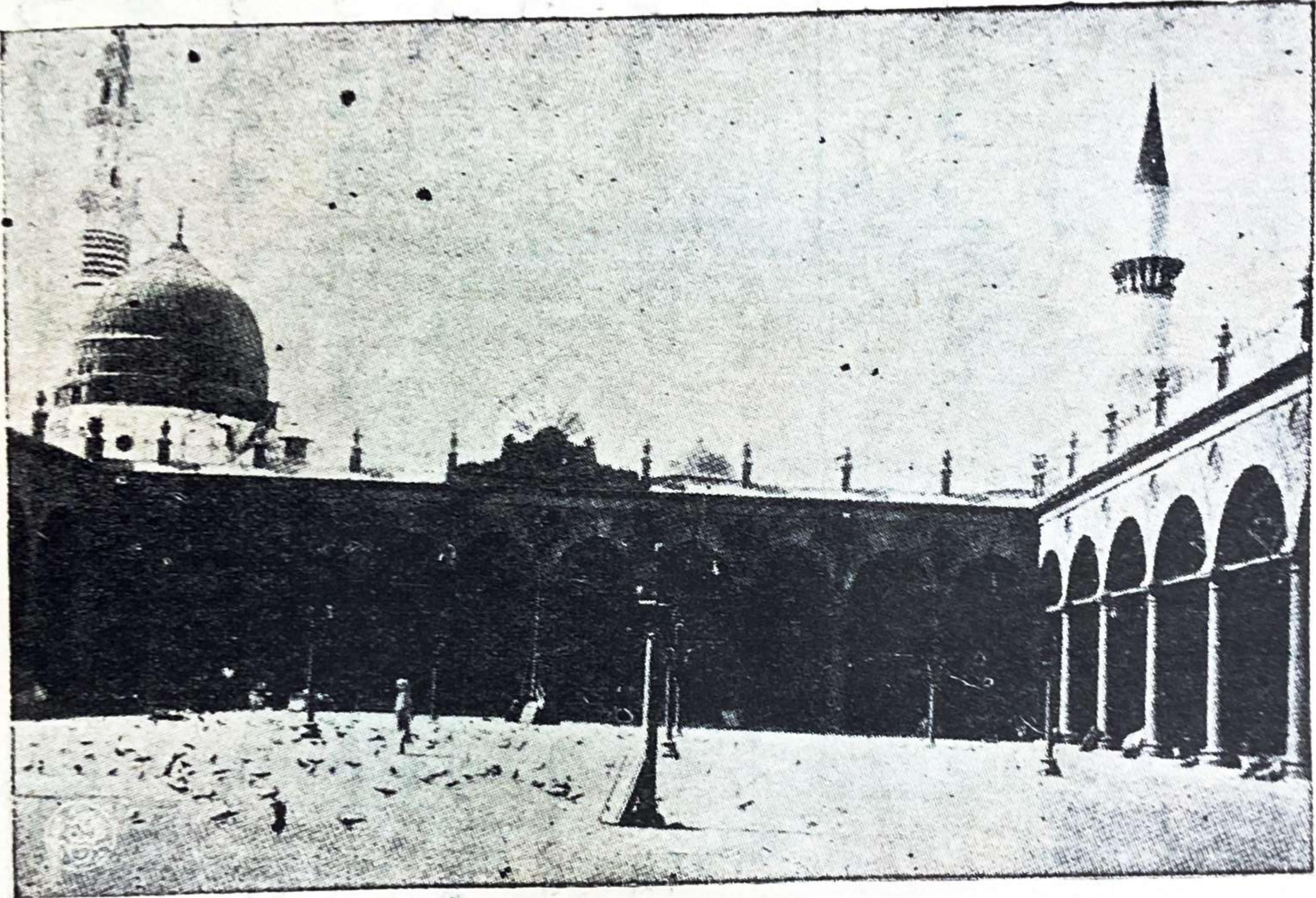
المغفور له السلطان عبد المجيد

إلى ١٢٧٧ ﻫ ولم يكن مِن عملٍ تاريخيٍّ كبير بعد تَشييدِ السلطان عبد المجيد للمسجد النبوي سوى ترميمات

واصلاحات يسيرة ومن أراد التوسعة في هذا الموضوع الجليل فليراجع كتاب نزهة الناظرين للعلامة السيد جعفر البرزنجي ، «ومعالم دار الهجرة» للعلامة الصديق الشيخ يوسف عبد الرزاق المشهدي المنتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية ، و « آثار المدينة المنورة » لمواطننا العلامة الأثري الصديق عبد القدوس الانصاري .

١ ـ اثر المسجد النبوي في أنفس الزوار

يُحسُّ الزائرون توثُّباً ونُزوعاً ، لارتيادِ المواطنِ التي يجدون فيها الطُّمأنينةَ الروحيَّةَ ، والقربى مِن خالقِ الوجود عز وجل . وإنَّ الطُّمأنينةَ التي يحسونها في مسجد رسولِ اللهِ صلَى اللهُ علَيهِ وسلّمَ ، وبالحريِّ في روضتِهِ المُطهرةِ ، لن يجدوا لها نظيراً في مَسجدٍ آخر ـ خلا المسجد الحرام ـ أنى يجدون النظير ، وهم متأكِّدونَ أنهم في نفسِ المكان الذي كان فيه رسول الله صلى الله علَيه وسلَّم يغدو ويروح ، ويجلِسُ إلى أصحابه ، ويتحدّثُ إليهم ، ويعلمهم القرآن ، ويصلي بهم ويخطبُ فيهم ، وينفّذُ الاحكامَ . ويسوسُ الجماعاتِ المتنافرة ويؤلّفُ ذاتَ بينِهم باسمِ اللّه ووحيِهِ وتوفيقِهِ .



المسجد النبوى الشريف وبه القبة النبوية الخضراء

أَنَّى يجدون النظير ومُصلاّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، يبدو أمامَهم ، كأنَّهُ بابُ السماء ، فيندفعون إليهِ ، بحماسةٍ ولهفة ؟ ويقفون فيهِ موقفه ، ويُناجون الخالقَ العظيم مُناجاته ، ويضرعون إليهِ ضراعتَهُ ، ويسألونهُ سؤالَهُ . وهم إذا نظروا يُمنةً رأوا منبرَه ساطعاً كأنهُ نجمة الفجر على جبين الأُفق الوضّاح ، وإذا نظروا يَسْرَةً ، شاهدوا حُجْرَتَهُ المطهرة ، ومقامَهُ فيها وهنا تأخذُهم الدهشةُ والحَيْرةُ ، وتخفِق قلوبُهم خفقاناً متتابعاً فرحاً بهذا المشهد المتجلي بين أيديهم . وكم يُحاولون أن يظفروا بمثيلٍ له في التاريخ ، فلا يظفرون إلا بمشهدِ رسولِ اللّهِ نفسِهِ ، وجبريلُ بين يديه في صورة انسان يسألُه عن الاسلام والايمان والاحسان ، وعن الساعة وأَمارَتِها ، وقد أسنَدَ رُكبتَيْه إلى ركبتيه ، ووضع كفَّيْه على فَخذَيْه . يَا لَهُ من مَشهَدٍ عُجابٍ ، يُحسون تجلياته فائضةً في أعماق قلوبهم ، وأضواءه تغمر نفوسَهم ، فلا يسعهُم إلا أن يرفعوا أصواتَهم بأدبٍ واحتشام وخشوع ، ويسلمون عليه سلامَ ذلك الأعرابيِّ ، الذي سمعه الإمامُ العتبيُّ يقول في مثل موقفِهم : « السلامُ عليك أيها النبيُّ ، ورحمةُ اللّه ،

وبركاته، السلام عليكَ يا رسولَ اللّه، السلامُ عليكَ يا محمدُ بنَ عبدِ الله، جزاكَ اللهُ عن أمتِكَ أفضلَ ما جزى نبيًا عن أمته. أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لَهْ، وأشهدُ أنكَ رسولُ الله، قد بلّغتَ رسالةَ ربِّكَ، ونصحتَ لأُمّتِكَ، وعبَدتَ ربّكَ، حتى أتاكَ اليقينُ، فصلّى الله على روحك في الأرواح، وجسدِكَ في الأجساد».

وكم يشعُرُون أنّهم عاجزون عن واجب شُكرِ نِعَم الله عليهم، بما أكرمهم به من السلام عليه — وهم في روضته المطهرة — وبالحريّ حين تقعُ أبصارُهم على قوله عليه الصلاة والسلام: «ما بين بيتي، ومِنبَري روضةٌ مِنْ رياضِ الجنة» يالله، هذا حديثُ رسولِ الله. «ومَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى. إنْ هُوَ إلا وَحيٌ يُوحى»[1] حقّاً إنهم في الجنّةِ بهذا أفتى إمامُ دار الهجرة. وهل يأخذون بغيرِ فتواه، وهم في دار الهجرة.[2] واذا كان جمهرةُ المحدثين الثِّقات، هم الذين رووا حديث الروضة، فلا عجب أنْ يفتي مالكٌ بما افتى به. ولا

---

(١) النجم ٢ و ٣.   (٢) قال تنقل إلى الجنة لانها منها. فكل الارض تفنى ما عداها.

عجب أن يقولَ القائل :

إذَا قُمْتَ فيما بـين قَبْرٍ ومِنْـبَرٍ
بطَيْبَةَ فَاْعلَمْ أنْ مَنْزلَكَ الأرْقى

لقد قمتَ في دارِ النعيمِ بروضةٍ
ومَنْ قام في دارِ النعيم فلا يشقى

٢ – آداب دخول المسجد النبوى

قال سيدنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : « بينما نحن عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يومٍ ، إذْ طلعَ علينـا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب ، شديدُ سوادِ الشعرِ ، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ، ولا يعرفُه منا أحـدٌ ، حتى جَلس إلى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ... وفي نهايةِ الحديث قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنه جبريلُ أتاكم ، يُعلمكم دِينَـكُمْ »

ولا ريبَ أنَّ سيّدنا جبريلَ ، قـد تعمَّد أنْ يكونَ مجيئُهُ في صورة رَجلٍ غريب لا يعرفه أحدٌ مِنْ أهل المدينة كأنهِ لِساعتِه أقبل مِنْ سفرٍ ، كما تعمَّد أن يكون على تلك الهيئةِ الحسنةِ ، من نصاعَةِ الشعر ، ووضاءةِ الثياب كأنه

رجل من أهل المدينة قد اغتسل ، ولبس أَحسن ثيابه ، وأقبل على المسجد النبوي ، للاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ذلك الوقارِ والجلال والخشوع والادب الفذ والتواضع العجيب ، ليكون مثلًا صالحًا للذين يقصدون زيارة المسجد النبوي ، والسلامَ على خاتم الأنبياء والمرسلين « سواء من قرب أو من بعد . ومهما يكن الحالُ ، فإنه لا ينبغي لقاصدي الزيارة ، أَن يُبادروا إلى المسجدِ النبويّ خطفاً ووثباً ، قبل أَنْ يَغْتَسِلُوا ، ويَلْبَسُوا أَحسن ثيابهم ، ويتطَيَّبُوا ، ثُم يذهبوا بأدب وخشوع .

٣ – دخول المسجد النبوي

ومتى أفضى الوافد إلى أحد أبوابِ المسجد فإنه لاينبغي أن يقتحمه اقتحاماً ، شأن الذين لا يحملون ، قلوباً خاشعة ، بل يقدم رجله اليمنى بكلّ تواضعٍ وسكينةٍ ووقار ، وَلْيَسِرْ حالًا إلى الروضةِ المطهرةِ ، لِيُحْرِزَ فَضْلَ ركْعتيْ تحيةِ المسجد في مُصَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او قريباً منه ، واذا لم يتمكنْ ، فحيثما تيسّر من المسجدِ ، ولا يَفْتَرُ عن الحمدِ

والثناء على الخالق العظيم ، بما هو أهله ، شكراً على ما تفضل عليه من زيارة المسجد النبوي ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لا يَفْتَرُ عن الدعاء بما شاء من خير الدنيا والآخرة لنفسه ولوالديه وأقاربه وإخوانه ، والمسلمين ، والناس أجمعين ، يطلب لهم التوفيق ، لنيل هدى الله في اتباع هذا الحبيب الاعظم صلوات الله وسلامه عليه

٦ - السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا ريبَ أنَّ الوافدينَ لزيارة المسجدِ النبوي ، والسلامِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعلمون يَقيناً أنهم يُحرزون بزيارتِهم وسلامِهم المَبْرُورَيْنِ السعادةَ الأَبدية يحرزونها بكلِ ما تشتمل عليه ، من الإخلاص لله ورسوله وكريم الأُسوةِ الحسنة بهِ صلى الله عليهِ وسلم ، والاستمساكِ بشريعته المطهرة ، والتضحية والمفاداتِ في سبيلها ، وليس في وُسع الألفاظِ ، أَنْ تُصوِّرَ النفحاتِ الإِلهيَّةَ التي يجودُ بها المولى الكريمُ عزَّ وجلَّ ، على المؤمنين الزائرين المُسلِّمِينَ على رَسولِه الرؤوفِ الرحيم ، من أجل ذلك ينبغي

لهم أن يحافظوا ما استطاعوا على آداب الزيارة والسلامِ عليهِ ، كأنْ يقفوا أمام وَجهِهِ الشريف ، متباعدين قليلًا ، غاضِين أَصواتَهُم وأعيُنَهُم خاشِعين لِلّه ، قد غسلُوا قُلوبَهُمْ من كُلِّ أباطيلِ الحَياةِ ، وطرحوا أدرانَها خارجاً ، وأقبلُوا مُستَحضِرينَ جلالَ هذا الموقف العظيم ، الذي انعمَ اللهُ به عليهم ، مُدرِكينَ مَنزِلَةَ مَن هم بحضرتِه مِنَ اللهِ تعالى ، كأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ يأخذون في السلام : « السلام عليك ، أيها السَّيِّدُ الكَريمُ والرسولُ الرَّحيمُ ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . السَّلامُ عليك يا نَبيَّ اللهِ ، السَلامُ عَليكَ يا صفوة خَلقِ اللهِ ، السَلامُ عليك يا حبيبَ اللّه ، أشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّه وَحدَهُ لا شريك له ، وأَنَّكَ عبدُهُ ورسولُه ، وأشهَدُ أَنك بلَّغتَ الرسالةَ ، وأدَّيتَ الأمانةَ ، ونَصَحْتَ الأُمةَ ، وجاهدتَ في سبيل اللهِ ، فصلَّى عليكَ اللهُ صلاةً دائمةً إلى يومِ الدين ، ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً ، وقِنا عذابَ النار . اللهم آتِه الوسيلَةَ ، والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المَقامَ المحمودَ الذي وعدتَه ، إنك لا تخلفُ الميعاد .

لَيْسَتِ الأَعمالُ الخالدة البارَّةُ ذاتُ الدَّرجاتِ العُلا عندَ اللَّهِ، تلك التي يقومُ بها أَربابُها لجمعِ رياشِ الحياةِ الباطلة وذكرياتِها الزائلَة، مُنحازينَ بها الى أَسوإِ الفئتين غفلةً واستهتاراً. بل تلك الأَعمالُ الخيِّرَةُ الرحيمة التي يُقصدُ بها وَجْهُ اللَّهِ، واعلاءُ كلِمةِ اللَّهِ، وانقاذ البشر من سخطِ اللَّهِ، أي التي يقصدُ بها البعدُ عَنْ كُلِّ حظ من حظوظ النفس الخائبة، وعن كل رغبةٍ مِنْ رغباتِها الخاسرة. ولا ريبَ أَنَّ خصائص أخلاق أولئك، الأَثَرَةُ وانفلاتُ النفس والسقوطُ وعدمُ المبالاتِ بالخبائث ونسيانُ الموت والوقوفِ بين يدي الله. وأَنَّ خصائص أخلاق هؤلاء الإيثار، وضبط النفس، والنهوضُ، والاهتمامُ بالخيرات، واستحضارُ الموتِ والوقوفِ بين يدي الله، لمناقشة الحساب.

وإذا نحن أخذنا نتتبَّعُ سِيرَ تلاميذِ الرُّسل، صلوات الله وسلامُه عليهم، وما كان من أعمالِهم، وإصلاحاتهم، وأنباء إيثارهم، فإنّا نرى الصديقَ الأعظم، بينهم منارًا شاهقًا يلوِحُ للتائهين. ولعل النعمةَ التي انعمها اللهُ عليه في مرقده

الاخير بجوار رسول الله صلى عليه وسلّم في مقصورته الخاصة لا تعدلها نعمة ، ولا ريب أنها تنهض وحدها مُكافأة سابغةً ، لكلّ ما قدّم من أعمال بَرّة خالدة ، في سبيل الدعوة الى الله ، وهداية الضّالّينَ والتّائِبينَ إليْه. ولوْ لم يَحْفَظِ التاريخُ مِنْ كَلِمَةٍ قيلتْ في تمجيده سوى قولِ اللهِ تعالى : « ثانيَ ٱثْنَيْنِ إذْ هُما في الغارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إنَّ ٱللهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عليْهِ » [1] لكفاه خلوداً أبديا ، وكرامة في الدارين.

ومن أدب الوافدين على مسجد رسول الله صلى الله عليهُ وسلم ، أنْ لا يفوِّتوا على أنفسهم مثوبةَ السلامِ على هـذا البطلِ العظيم ، الذي أقام اللهُ به عِمادَ الاسلام ، لِأوّل مرَّةٍ زُلْزِلَ في التاريخ ، يا حَسْرَتي زُلْزِلَ بيَدِ مَنْ جاء لإسعادهم.

وهذا شأنُ الانسانيّة الرعناء ، تقلعُ العينَ التي تكشِفُ لها طريقَ الله عزّ وجلّ ، وتقطعُ اليدَ التي تعملُ لتذليلها.

وما على الوافدين إذا أرادوا السّلامَ على سيدنا ابي بكرٍ الصديق رضوانُ الله عليه، إلّا أن ينتقلوا ناحية أيمانِهم مقدارَ خطوةٍ ، بعد فراغهم من السلام على رسول اللهِ صلى الله عليه

---

(١) التوبة

وسلم . ثم يُسَلِّمونَ : « السلامُ عليك يا خليفةَ رسولِ الله «أبا بَكرٍ الصديق » السلام عليك يا مَنْ قال في حقِّك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أنت عتيقُ اللهِ من النار » السلام عليك يا صاحبَ رسول الله ، وثاني اثْنَيْنِ إذ هُمَا في الغار » السلام عليك ، يا مَنْ أنفقَ مَالَهُ كلَّه في حبِّ الله وحب رسوله ، حتى تخلَّلَ بالعَبَا ، جزاكَ الله عن أمةِ رسولِ الله خيرَ الجزاء . اللهم ارْضَ عنه وارفع درجتَهُ وأكرمْ ثوابَهُ بِفَضْلِكَ وكرَمِك آمين »

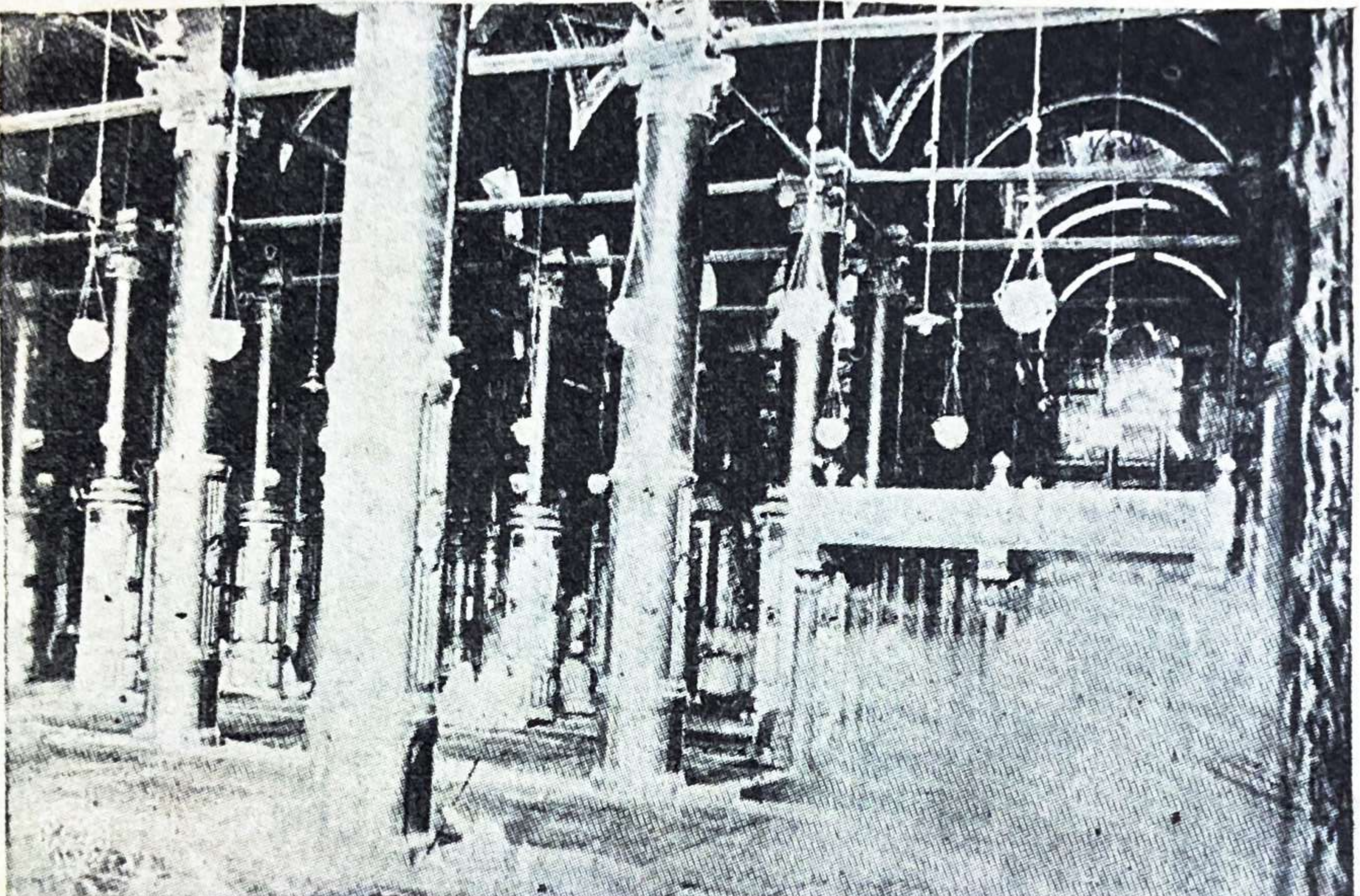
٨ السلام على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لم يكن من رجلٍ في التاريخ ، قد أجرى الله على يديه للانسانية ، من الخير والهدى ، والسعادة والمودة ، والعدل والرضى ، والقناعة والعفاف ، وإيثار ما يبقى ، على ما يفنى من أعْراض الدنيا ، وزخارفها الباطلة . مَا أجراهُ اللهُ علَى يدِ الفاروق الاعظم رضوان الله عليه

إنَّه كان مثلاً حَيًّا خالداً ، للأَخذِ بعزائِم مُثُلِ الانسانيَّة العليا ، التي أوحاها اللهُ على خاتم الانبياء والمرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم . وكان صريحَ النِّيةِ . واضحَ الفكرة بعيداً

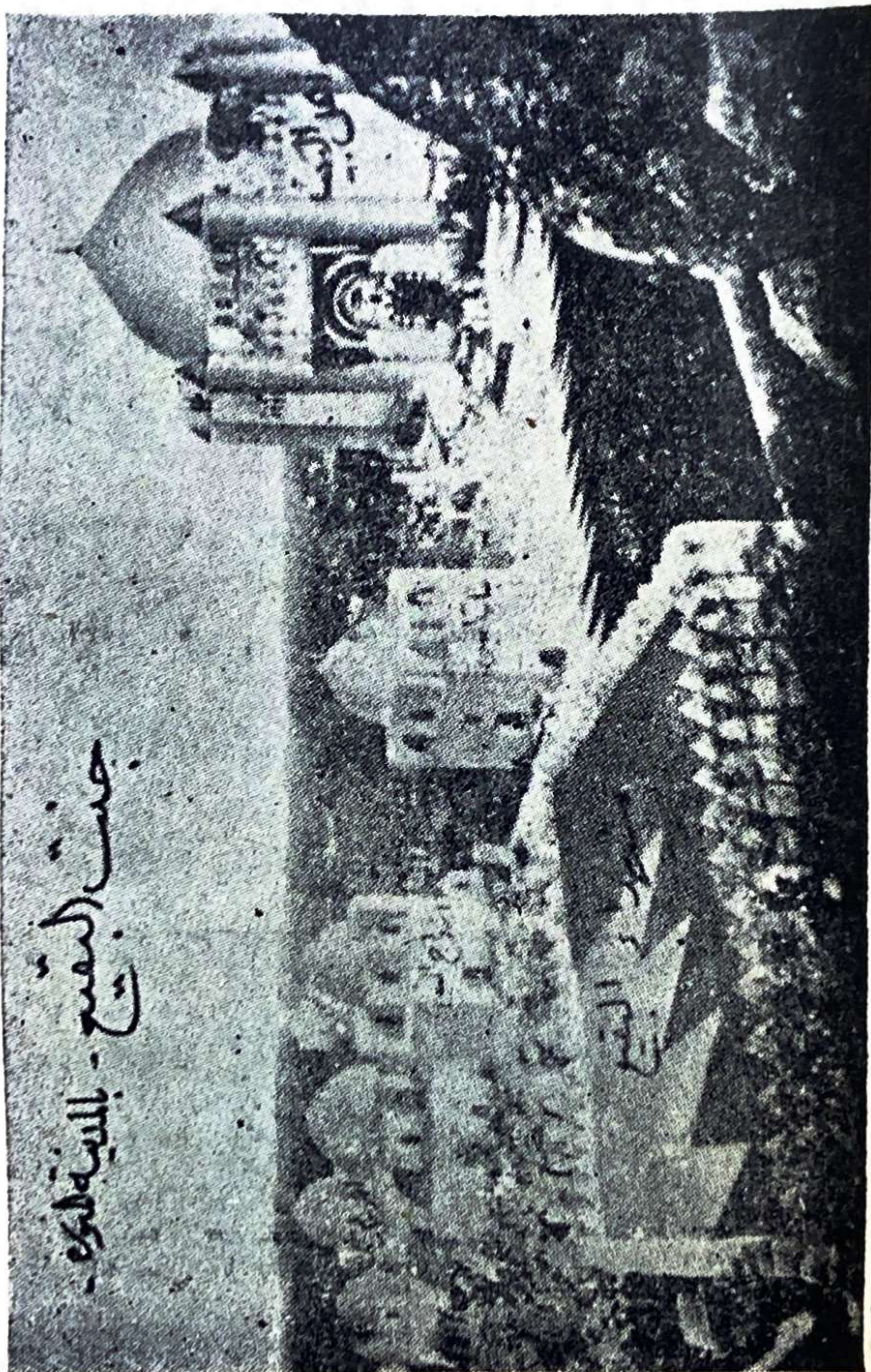
جداً عن الغمغمةِ واللفِّ والدوران ، والمجاملة على حساب تعطيل الشرع الشريف ، وكان صادقاً في عُمقِ إيمانه ، صادقاً في كبير حبِّـه لله ورسوله ، وآلِ بيته الأطهار ، والنصح لكل مسلم .

وهو أحدُ العشرةِ المبشرين بسعادة العالم الثاني . على أنَّ السَّعادةَ التي نالها ، بجوار مرقده الأخير ، من مرقدِ رسول الله . هي فوق كل سعادة ، لذلك كان مِنْ آدابِ الزِّيارة ، أنْ يُسَلِّمَ الوفودُ عليه بعدَ أن ينتهوا من السَّلام على الصديق . وما عليهم إلا ينتقلوا إلى ناحية أيمانِهمْ مقدارَ خطوةٍ ، فإنهم يصبحون أمام قبره بالذات ، ثم يسلمون عليه : « السلامُ عليكَ أميرَ المؤمنين عُمرَ بنَ الخطاب . السلام عليك يا مَن قال في حقِّكَ رسولُ الله : « عمرُ بن الخطاب سراج أهل الجنة » وقال ايضاً : « ما طلعتِ الشمسُ على رجل خيْرٍ مِنْ عُمر » . السلام عليكَ يا ناطقاً بالعدلِ والصواب ، السلام عليك يا أبا الفقراء والضُّعفاء والأرامل والأيتام ، جزاكَ اللهُ عن أمةِ رسول الله خيرَ الجزاء ، اللهم ارضَ عنه وارفعْ درجتَهُ ، وأكرمْ مقامَهُ ، وأجزِلْ ثوابَه بفضلِكَ وكرمِكَ آمين .



الرّوضة الشريفة وبها المنبر والمكبريّة

إن أفضلَ ساعاتِ الوافدين ، هي السّاعاتُ التي يطيلون فيها الجلوسَ ، في الروضةِ الشريفةِ ، بجانبِ الحُجْرة المطهرة . هي سَاعاتٌ ذاتُ نفحاتٍ وتجلّياتٍ ، لا تُعَدُّ مِنْ ساعاتِ الحياةِ الباطلة، لأنها ساعات في دار الخلد . لذلك ينبغي للوافدين ، أن يُبادروا في العودةِ ، الى الروضةِ الشريفة ، متى أتمّوا السلام على الفاروق رضي الله عنه . وفي الروضةِ الشريفةِ يكثرون من الحمدِ والثناء على الخالق العظيم عز وجلّ . وفي الروضة الشريفةِ يتلون القرآن المجيد ما استطاعوا ، وفي الروضة الشريفة ، يضاعفون الصلوات والتسليمات على رسول الله ، صلى الله عليهِ وسلم . وفي الروضة الشريفة يدعون ويلحون في الدعاء ، لأنفسهم ووالديهم وأقاربهم وإخوانهم ، وكل المسلمين ، لأنّ رجاء الإجابة فيها مؤكد .


جنة البقيع - بالمدينة المنورة

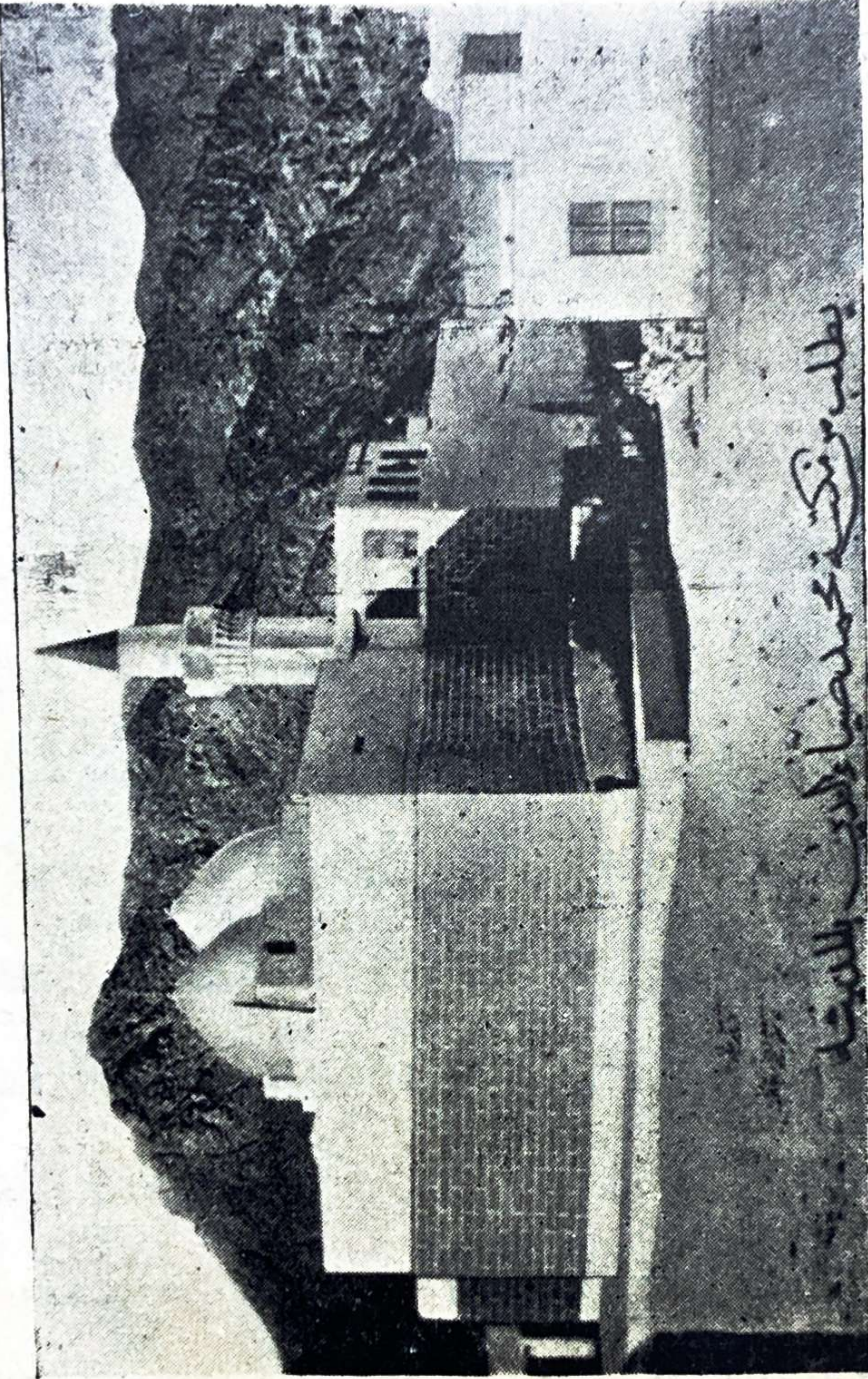
صحيحٌ ما يتحدثون به ، من أنْ الحياةَ سحابةٌ خاطفةٌ وشيكةُ الزوال . وإنْ خالها الحمقى طويلةً عريضةً لا نهاية لها. وصحيحٌ أنّ الانسانَ في الحقيقةِ هو الروحُ ، لا الجسد ، لأنّ الجسدَ ثوبٌ مُعارٌ ، سيّانِ خلعه في الشرق أو الغرب ، إذ مفهومٌ أنْ نيلَ السعادةِ الأبديّة ، لن يكون إلا بالاعمالِ ورضاء الرحمن ، لا بمراقدِ الأجساد التي لا تحشر للحساب قبلَ يوم الحساب .

صحيحٌ كلُّ هذا . ولكن لا ينبغي أنْ ننسى أنّ المواطنَ ، يَفضُلُ بعضُهنّ بعضاً . فهلّا تحسبُ الصلاةَ في المسجد الحرام الذي شيّدهُ سيدُنا إبراهيمُ ، أو في المسجد النبويِّ الذي شيّده سيدُنا محمدٌ ، أو في المسجد الأقصى الذي شيّده سيدنا سليمانُ . بدرجةِ الصلاةِ في أيّ مسجدٍ عاديٍ . بداهةً لا . إذن فلا يُساوي أيٌّ مدفنٍ عاديٍ ، البقيعَ أو المعلا . ولو لم يكنْ للبقيعِ ميزاتٌ ليست لسواه ، لما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، من استطاع أن يموتَ بالمدينة فليمت بها ، إني أشفعُ لمن

يموت بها » ومن هنا تدرك معنى الحاج عمر في طلبه من المولى الكريم أن لا يحرمه من الموت بها ، كما رواه البخاري عن ابنته السيدة حفصة . قطعاً لمدفن المدينة « البقيع » فضائل ليست لسواه . أيُّ مدفن يُساوي البقيع ، وفي البقيع ما يناهزُ ، العشرة آلاف من أصحاب رسول الله ، وفيه من التابعين إمام دار الهجرة مالك بن انس واستاذه نافع .

وينبغي الوافدين أن لا يُفوّتوا عليهم زيارة البقيع ، فإن رسول الله كان يزوره المرة بعد المرة ، و كان في كل مرة يدعو لأهله ويقول : « السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، أنتمُ السابقون ، وإنَّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحقون . « سلامٌ عليكمْ بما صبرْتمْ فنِعْمَ عُقْبَي الدارِ » اللهم لا تحرمْنا أجرَهم ، ولا تفتِنَّا بعدَهمْ واغفرْ لنا ولهمْ . اللهم اغفرْ لأهْلِ البقيع » ثم يأخذُ الوافدون في زيارةِ آلِ بيْتِ النبيّ ، وأمهات المؤمنين وصحابة رسول الله و كبار التابعين ، رضوان الله عليهم اجمعين

ويَتَعسُرُ على الوافدين ، لأوّلِ مرةٍ أن يُميّزوا مِنْ أنفسِهم بين القبور . فلا بُدّ من الأدِلاَّء ، من أهلِ المدينة ، وقدتركنا صِيَغ التسليمات والأدعية ، لكثرةِ ما يرددها المُدَّعُون هنالك . .



جبل احد وقبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب

« هذه طابةُ ، وهذا أُحدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه »[1]. « هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونحبُّه »[2]

لن يجدَ وفودُ الزُّوارِ في طيبةَ مكاناً تنكشِفُ لهم ذكرياتُه ، بمجرّدِ وصولهم إليه ، ما يجدونه في سفح هذا الجبل الحبيب . فمن أوّلِ وهلةٍ تقعُ أبصارُهم عليه ، تنكشِفُ لهم مشاهدُه المشتملةُ على كثيرٍ من الاسرار ، لأنَّ كلام النُّبوةِ . « هذا جبلٌ نُحبُّه ويُحبُّنا » غيرُ كلامِ الناسِ العادي الذي لا يشتملُ إلا على أغراضٍ تافهةٍ ، شأن ميولهم . فلو أبصر الناس ما في كلامِهِ من الكنوز القيمة ، لادركوا جميعاً أغراضَهُ السَّامِيَةَ ، ولو أدركوا ذالك « لأصبحَ هذا الجبلُ حبيباً إلى أنفسِ الجميع ـ سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ـ ولماذا لا يكون حبيباً إلى أنفس الجميع وفيه تنكشِفُ الغايات الحقيقيَّةُ من معنى الثقافةِ والتهذيب

(١) رواه البخاري وطابة اسم المدينة المنورة (٢) أخرجه البخاري ومسلم

والحضارة والتقدم : أجل فيه نظامُ الشورى ، وفيه الأَخذ برأيِ الأكثريةِ على كل حالٍ . وفيه تميزُ الخبيثِ من الطيّبِ، وفيه العِبرَةُ بما يُصيبُ الانسانيةَ من البَلاء حين تخالف ، ما يجيء به رسولُ الله من أمرٍ أو نهيٍ . وفيه شرف تضحياتِ الجهادِ المُستَميتِ الذي يشتملُ على حميدِ النتائج ، لدى ردّ عدوان المعتدين ، وفيه إخلاص النّيةِ ليكون ردُّ العُدوانِ لله وَحدَهُ ، لا لنيلِ حطامٍ زائلٍ من الدنيا ، وفيه صبرُ ساعةِ الشدةِ ، التي لا تُعقبُ إلا الفرج ، وفيه وحيُ اللهِ النازلِ من السماء الذي ، لا يُقابلُ حقدَ الوثنيةِ الخارجِ من الارضِ ، إلا بالصفح والحبِّ ، «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

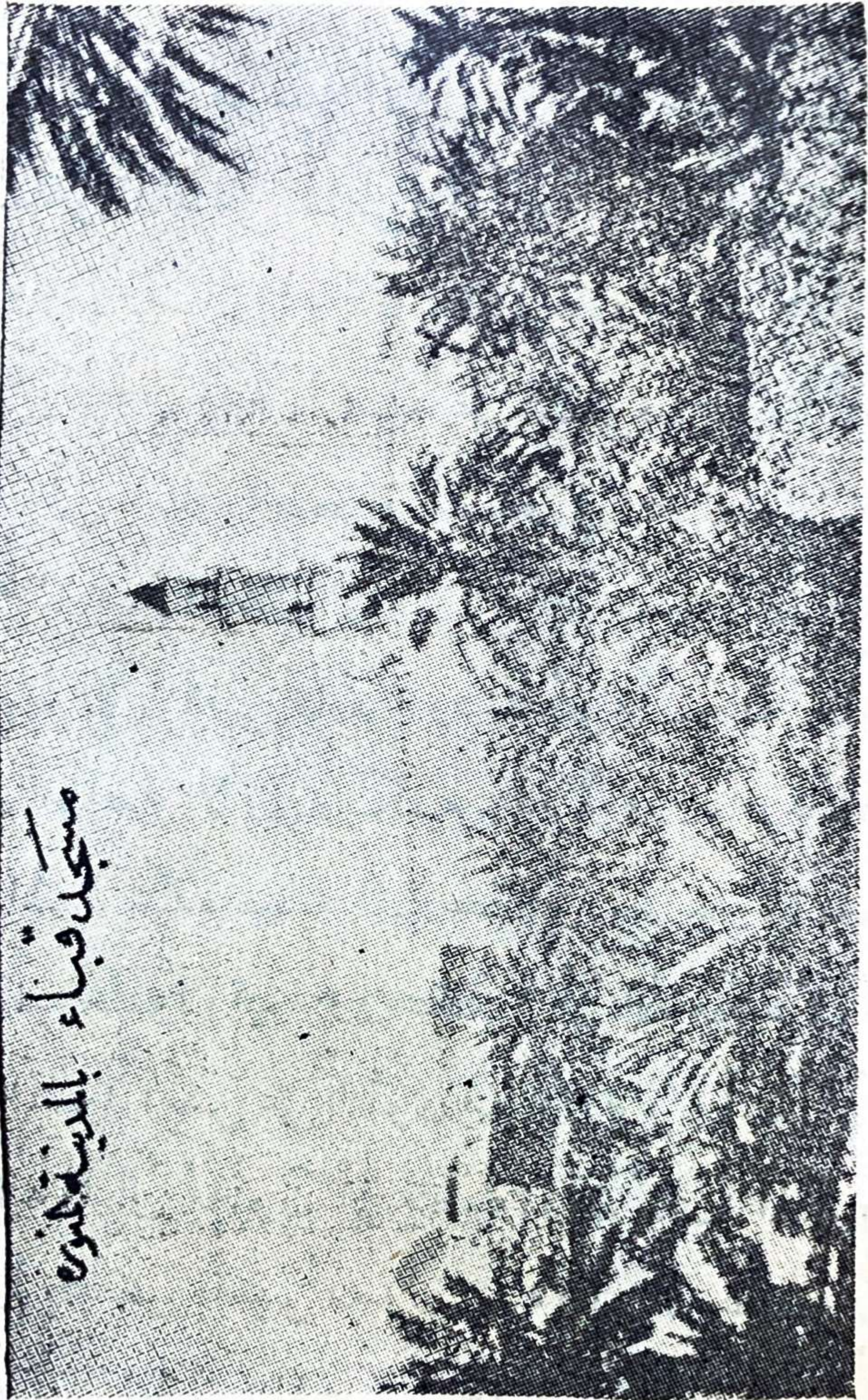
وفيه العُدّةُ والعديدُ والبطولة التي لا تُتخذُ للبطشِ والفتكِ، وإنما للارهاب والهدايةِ والخير وصدِّ العُدْوان :

وكم يُوجِعُ نفوسَهم مصرعُ البطل العظيم حمزة بنِ عبدِ المطلب ختلًا بسهمِ وحشيّ ، ويشتد عليهم الأَمرُ حتى ينسوا أنهم في مشاهدِ التاريخ ، وتهزُّ نفوسَهم هزاً عنيفاً وحشيّةُ التمثيل به ونزعُ كبده بيد هند ، ولو كها فيأخذون في الهجوم عليها لصدها عنه، فتردهم عن قبر سيد الشهداء

رجالُ الشرطة، فيرجعون إلى أنفسهم فإذا هم حيال قبر سيّد الشهداء الجاثم في ذلك السفح الواسع، فيأخذون في السلام عليه، وعلى إخوانه الشهداء.. «السلام عليك يا حمزةُ عم رسولِ الله، السلام عليك يا سيّد الشهداء، السلام عليك يا أسد الله، وأسد رسوله، السلام عليك يا عبد الله الأسدي السلامُ عليك يا مُصعَبَ بن عُمَيْرٍ. السلام عليكم يا شهداءَ أُحدٍ، السلامُ عليكم بما صبرتم فنِعْمَ عقبى الدارِ، اللّهم أجزهِم عن الاسلامِ وأهلِه أفضل الجزاء، وأجزِلْ ثوابَهُمْ وأكرمْ مَقامَهم وأرفعْ درجاتِهم بمَنِّكَ وكرمك يا أكرم الأكرمين رضي الله عنهم اجمعين.

مَا مِنْ مسلِمٍ يملأ قلبَه وَقْدُ الحبِّ لِلهِ ولرسولِهِ ، إلَّا ويتَمنَّى بكلِّ إمكانيَّاتِهِ ، أَنْ يَكونَ مِمَّنْ كتب اللهُ لهمُ السعادةَ بوضعٍ ، وَلَوْ حجراً واحداً ، في مساجدِهِ صلى الله عليه وسلم حِفظاً لها مِنَ التَّداعِي والزوالِ .

ومساجدُ رسولِ الله الأثريَّةُ ، تملأ رحابَ طَيْبَةَ ، وهي في كُلِّ جيلٍ تتعَهَّدُها أيدي المُشيِّدين المجدِّدين ، والمُصلِحين المُرمِّمين . أَلَا إنَّ في المسلمين رجالاً أطهاراً بَرَرَةً ، لا تطيبُ لهمُ الحياةُ ، ولا يسعَدونَ بشيءٍ فيها سعادتَهمْ باحياءِ معالِمِ الوَحيِ : ـ مساجدِ رسولِ اللهِ ، آثارِه النَّفيسةِ ، ذكرياتِهِ الخالدةِ ـ وهؤلاء البررةُ الأطهار ، لن يغربَ عن بالِهم واجبُهم العملي تجاهها . يا عجباً كُلَّ العجب ، أنى يغربُ ، والوحيُ ومَعالمُهُ وأسرارُهُ ومعجزاته وأضواؤُهُ وبركاتُه ، تغمرُ قلوبَهم المؤمنة ؟!! بأمثالِ هؤلاء الرجال الأطهارِ الأسخياء ، شُيِّدَ ما شُيِّدَ ، في المدينة المنورة ، وفي مكة المكرمة ، ما لا يزالُ شاخصاً مِلءَ الأبصارِ والأسماعِ حتى اليوم مِنَ المساجد والمدارس والمشافي والأربطة والأوقاف . والذي يُهِم الزُّوارَ ذِكْرُه بصورةٍ خاصةٍ ، هي مساجدُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم في طيبة . ليظفروا بالصلاة والدعاء فيها . وهي :



مسجد قباء بالمدينة المنورة

هذا مسجدُ قُباء ، يَبْدُو في غمارِ أضواء السماء ، وسكينةِ الملائكة ، ووَقارِ مُؤَسّسِهِ الأَوَّلِ صلى الله عليه وسلم ، كأنَّهُ المنارُ الشاهقُ المُتَّقِدُ على شاطىء الخُلْدِ ، يُلَوّحُ للتَّائِهِينَ . يبدو على مرور الأزمان ، وتقلقلِ البشريَّةِ وقيامِ دُوَلٍ وقُعُودِ أخرى ، كأنه البارجةُ الراسيةُ على شاطىء المحيط ، أو الطودُ الراسخ علَى حافة الصحراء ، يبدو في محراب التاريخ وروعته الرهيبةِ وجلال الوَحْيِ ، كأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الآنَ أنْهى عمارَهُ ، وَدَخلَهُ هُوَ وأَصْحَابُهُ خاشِعِين ، يؤدون الفريضةَ الأولى . يكفيه جاذِبيَّةً وروحاً وخلوداً أن رسول الله ، شيَّدَه بيديه المباركتين مع خير الأصحاب ، بل يكفيه سُمُوًّا وقيمةً وبركةً ، أنَّ اللهَ مَجَّدَهُ في القرآن المجيد: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقْوَى مِنْ أوَّلِ يومٍ ، أَحَقُّ أَنْ تقومَ فِيهِ ، فِيه رجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِين» (١)

ولم يكن تأسيسُ رسولِ الله صلَى الله عليه وسلم ، كتأسيس الملوك والامراء ، يأمرون ، وسواهم يشيدون

(١) التوبة ١٠٩

ويحملون الأثقال والأتربة ، ويُضوِي أجسامهم جُهدُ العمل وتسفعُهم أشعةُ شمسِ الهاجرة، بل كان هو أوّلَ من يحمل الأحجارَ وينقل الأتربةَ والماء، وهذا شأنُ أصحابه . وكم حاول أولئك الأصحاب الكرام ، أن يخففوا بعضَ الجهود والمتاعب ، عن رسول الله ، فيشفق عليهم ، ولا يرضى إلّا أن يكون هو أوّلَ العاملين المجهودين . لأنّه هو الأسوةُ العظمى ، لهذه الانسانية المتعالية المستكبرة ، فلو أنه ترك التكاليفَ الشاقّة على أصحابه – وإن كان ذلك مُنتهى ما يُسْعِدُ نفوسَهم – وآثر الاستجمامَ . فما يكونُ حال الجماعات المتلوّنة ، التي تجعلُ معظمَ تأسّيها به ، قاصراً على حلاوةِ ألسنتها المطاوعةِ . في تمجيد أعمالهِ السامية، وإنْ كانتْ أعمالُها أمرَّ من الحنظل ، أجل فما يكون حالها إذن ، لو لم تكنْ تلك أعمالُ الاسوةِ الأعظم ، وهاتيك مواقفُه .

ألا إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان لا يُرْضيه إلا أنْ يضعَ بيده الشريفة ، الحجرَ الأوّلَ والأخير ، في كلِّ أبنيته المادّية والمعنوية . لذلك لا نجدُ غريباً أن يقولَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه : « وأنْ يحلفَ بالله لو كان مسجدُنا هذا

بطرفٍ من الأطراف لضربنا إليه أكبادَ الإبل »[1] . ويحتج لقسَمِه هذا أنه رأى رسولَ الله ، في أصحابه وأبا بكر ينقلان حجارتَه على بطونهما . ومن هنا لا نعجبُ لقول عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما : « كان رسول الله ، يَزُورُ مَسجدَ قُباء كلَّ سَبْتٍ راكبًا وماشيا ، ويُصلّي فيه ركعتين »[2] ولا نعجب لقول سعد بن أبي وقاص : « لأَنْ أُصلّيَ فِي مَسجدِ قُباءَ رَكْعَتَيْنِ ، أَحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ آتِيَ بيتَ المَقْدِسِ مَرَّتَيْنِ ، لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي مَسْجِدِ قُباءَ لَضَرَبُوا إليه أكبادَ الإبلِ »[3] أجل لا نعجب عجبَ بعض المطالعين ، ما دُمْنا تأكَّدْنا أنَّ رسول الله ، أسسه على التقوى من أولِ يومٍ ، وأنَّ الله بارك ذلك في القرآن المجيد .

وقد أجمعَ كُتّابُ السِّيَر ، أن أول عمل قام به رسولُ الله ، بعد أنْ نزل في قُباء على كلثوم بن الهدم ، من قبيلةِ بني عمرو بن عوف هو بناء هذا المسجد ، إذ كان لكلثوم مَرْبِد فأقامه فيه . وفي هذا المسجد المبارك تجلت المساواة الإنسانيَّةُ عمليًا

(١) راجع كتاب « معالم المدينة المنورة » ص ٢٦٨

(٢) اخرجه الستة الأ الترمذي (٣) رواه الحاكم

لأوّل مرةٍ في التاريخ ، وقد كان الناسُ من قبل يقيمونها بألسنتهم ، فهذا سالمٌ المعروف لدى الناس أنه مملوك لحذيفةَ ، رضي الله عنهما ، يَؤمُّ أصحابَ رسول الله في هـذا المسجد ، وفيهم المهاجرون والأنصار . والإمامة في فجر الاسلام تعني الرّجلَ الذي يحملُ الكفاءة التي تجعله يقف موقِفَ رسولِ الله. وهذا كلُّه نفهمُه من قولِ عمر رضي الله عنه « لو أدركني سالمٌ مولى أبي حذيفةَ لوثقتُ به وعَهِدتُ إليه بالبَيْعةِ ، فإذا سألني ربِي ، قلتُ « سَمِعتُ نبيَّكَ يقول : « إنَّ سالماً شديدُ الحب لله » [(1)]

والايدي التي عَمِلَتْ على حفظ هـذا المسجد العظيم من التلاشي ، كثيرةٌ في التاريخ ، وكلُّها اكتسبت حظوظَها التي فاضتْ بالعطايا من المولى الكريم ، جزاء ما عملت وجهدت وقدَّمتْ من أموال ، في سبيل حفظه بما يليقُ به مِنْ جلالٍ في تاريخ نشأة الإسلام .

وأوّلُ المجدِّدِين له ، هو سيدُنا عثمان بنُ عفّان رضي الله عنه ، جدَّده حين رآه يوشك أن ينقضّ ، جدده وزاد فيه . ثم

(١) الطبري ٥ - ٣٤

عبد الملك بن مروان، أجرى فيه إصلاحاً كبيراً وأفسحه. وفي عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شيَّده بالأحجار وجعل سقفه من خالص الساج، ورفعه على أمتنِ السَّواري، وجعل له رحبةً، وأقام حولها الأروقةَ. ثم تبادل إصلاحَه وتشييدَه والاهتمامَ به، خشيةَ زوالِه، رجالٌ كرامٌ يستَحِيلُ أنْ ينسى التاريخُ أسماءهم أو يَضؤُل مكانُهم في عين الاجيال.

فهذا جمالُ الدين الاصفهاني وزيرُ بني «زنكي» في الموصل جدَّدَ عَمارَه عام ٥٥٥ هـ. وهذا الناصر بن قلاوون، جدد بعضه عام ٧٣٣ هـ. وهذا الأشرف «برسباي» جدد غالب سقفه عام ٨٤٠ هـ وجدد مأذنته عام ٨٨١ هـ. ولم يكن اهتمام الاتراك العثمانيين بأقل من سواهم من خلفاء المسلمين وملوكهم. فقد جُدِّدَ عماره في عهودٍ مختلفة. وكم في هذا المسجد من فضلٍ ومثوبةٍ وذكرى خالدة، لا تمحى من أنفسِ الأجيال للسلطان محمود الثاني ولولده السلطان عبد المجيد. ومسجدُ قباء يَقع في الجنوب الغربي، وهو يقوم على وعشرين سارية وفي ساحته بركت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأول مرةٍ وصل من مكة المكرمة. وأكبرُ الأعمال التي تمتْ في عهد



صورة اثرية لا يوجد مثلها لفخري باشا

الحكومة السعودية في سبيل مسجد قباء، ما قام بها وكيل أمير المدينة عبد العزيز بن ابراهيم، حيث اشترى ستة عشر قطعة من الاراضي الواقعة في طريقه الذي أصلحه فخري باشا في عهد الحكومة العثمانية. وبذلك أمنه من الخراب والضياع.

٢ — مسجد الجمعة

كلُّ المساجد لله «وأنَّ المساجدَ لله فلا تدعُوا مع الله أحداً» ولكن لا يستطيعُ أحدٌ أن ينكرَ أن بعضَ المساجدِ يَفضلُ بعضاً، ومأتي تَفاوتِها في الفضلِ، يعودُ إلى البواعث التي دَعتْ الى تشييدِها، والمِيزات التي رافقت ذلك. وإذا رجعنا إلى الذكرياتِ التاريخيَّة التي دعت المسلمين إلى الاهتمام بأمر هذا المسجد والعِناية بهِ، نجدُها عظيمةً جداً. لذلك لا نرى عجباً، إذا رأينا المتعلمين من رُوَّادِ طَيبةَ يتساءلون عن هذا المسجد. ليتبركوا بزيارتهِ والصلاةِ والدعاء فيه، واستحضارِ تلك الذكرياتِ التاريخية العظيمة. وأيَّةُ ذكرياتٍ أمجدُ من صلاةِ رسول الله، بالمهاجرين والأنصار، أوّل جمعة في الاسلام وناهيك بما لصلاةِ الجمعة، من توجيه العالم الإسلامي أسبوعياً إلى العمل بمثل الإنسانية العليا، التي أوحاها اللهُ على خاتم

أنبيائه ورسله ، لإسعاد الناس كافة. أجل هـذا هو المسجد الذي شرَّفه الله ، بأن جعلَه أثراً خالداً يحمل ذكرى أوَّلِ جمعةٍ صلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين . ولهذه المِـيزة الكريمةِ سمي بمسجد الجمعة . وللأقدار الإلهيةِ عنايتُهـا حتى بالأمكنةِ ، فقد خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم من قباء في ضحوة الجمعـة ١٦ ربيع الاول عام ١ هـ . وكان في الإمكان أن يَظَلَّ في قبـاء ويصلي في مسجـدهـا الجمعـة الأولى ، في الاسلام . ولكنْ عنـايةُ الله سبقتْ وقدرت أنه يخرج من قباء ، وأنه في أثناء الطريق - في وادي رانوناء - في بني سالم يصلي فيه أول جمـعة في الاسلام ، يصليهـا هو والمسلمون في بطن الوادي حَيْثُ المسجدُ الآن . والمسجد يقع في أرض مستوية ، تُحيط بها النخيلُ وأشجارُ الطرفاء ، سوى جهته الغربية، فإنها خلاء ، ويسمى أيضاً بمسجد الوادي وبمسجد عاتكة . وعمارُه الحالي قد قام به السلطانُ « بايزيد »

٣ - مسجد القبلتين

كم من حكمة سامية ، نجدها في اختلاف الجهات التي جاءتْ فريضةُ توجيه الصلاة إليهـا ، إذ لو كانت واحدةً في

كل الأديان السماوية ، ولا تجوزُ الصلاةُ الى جهةٍ سواها ، لا عتقاد صغارُ العقول ، أنَّ اللهَ الذي خلق العوالم والجهات وأبعاد الفضاء ، وَأَتقَنَ كُلَّ شيءٍ صُنعًا ، محصورٌ في تلك الجهة . والواقع أن العوالم والجهات والفضاء وأبعادَه وكلَّ شيء ، محصورٌ في قبضته وسلطانه وقهره ، لذلك كان من الحكمة الكبرى تحويلُ الصلاة الى الكعبة المشرّفة ، بعد أنْ صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون الى بيتِ المقدس ، سبعةَ عشرَ شهراً .

ولما كان مسجدُ بني سلمةَ ، هو الذي صلى فيه رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم ، لأولِ مرة ، صلاة واحدةً الى القبلتين ، وهي صلاة الظهر ، أطلق عليه اسم مسجد القبلتين ، وإن كان بعد ذلك صلى في غيره أيضاً . ومسجد القبلتين ، تشاهده مشيّداً فوقَ هضبة مرتفعة ، في حَرّةِ الوبرة وهو يقع في الشمال الغربي للمدينة المنوّرة ، ويطل على وادي العقيق بقسميه ، وعماره على نَسَقِ مساجدِ بيروت فمحرابُ الكعبة المشرّفة ، في قسمه الداخلي ، ومحرابُ بيت المقدس في قسمه الخارجي ، والذي جدد عماره الحالي هو السلطان سليمان عام ٩٥٠ هـ . وقد جعل

وضعه على هذه الحالة ، ليكون في الاسلام رمزاً تاريخياً خالداً لحادثة تحويل القبلة التي ذكرها الله في القرآن : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »[1]

٤ – مسجد الفتح

كل المسلمين يعلمون غزوةَ الأَحزاب ، لأَنّهم يرددون في أعيادهم ، « نصر عبدَهُ ، وأعزَّ جُنْدَهُ ، وهزم الأَحزابَ وحْدَهُ . » وكل المسلمين يعلمون ، أن القرآن المجيد يشتمل على سورة خاصة بغزوة الاحزاب هي «سورة الاحزاب » وكلُّ المسلمين يعلمون أن غزوةَ الأَحْزاب ، هي أهوالٌ رهيبة أراد اللهُ بها أمرين الأول أن يمتحن المسلمين بها ، ليعرفوا أنفسَهم ، أَيْ ليعرفوا الخبيث من الطيب ، والثاني لِيُرِيَهم رأيَ العينِ كيف يحمي دعوتَهُ إلى الخير ، وينصُرُ رسولَهُ ، ويؤيِّدُ وَحْيَهُ وإنْ تألبتْ عليهِ أهلُ الأَرض . ولكن قليلٌ جداً الذين يعلمون أَنَّ في طيبةَ مَسْجداً ، هو مسجدُ الفتح . وأن اهتمامَ المسلمين به لم ينقطع ابداً . لأَنّه رَمْزُ التأييد الإِلٰهيّ للدعوةِ الى الله ، لدى

(١) البقرة ١٤٤

ٱلأهوال ٱلمقتحمة ، وأنه في العالم منار يُعلِن أنَّ ٱللهَ لا يخذِلُ الذين يُضحُّونَ بكل شيء في سبيلِ خِدمَتهِ تعالى ، مهما بلغت قسوةُ الظُّروف من الشدائد والمخاوف ، ومهما بلغت بهمُ الحظوظُ مِنَ الانتكاس . وكيف لا يُسَمّي المسلمون ، هـذا المسْجدَ مَسْجدَ الفتح ، وفيه جـاءتِ البُشرَى لرسوله صلى الله عليه وسلم . بأن اللهَ خاذلُ جُموعِ ٱلأحزاب الذين ما جاؤا إلى المدينةِ إلّا لمحاربةِ ما أنزَلَ اللهُ لإسْعادِهم ، وترفيهِ عيْشِهم . أجل فيهِ جاءتِ البُشرى بأَنَّ اللهَ ناصرُ هـذه الحفنةِ الصغيرةِ مِنَ المؤمنين الصَّادِقين ، وإنْ وَقَعُوا فَوقَ تألب الأَحزاب ، عليهم بَيْنَ شِقَّي الرَّحى : بين منافقين أعلَنُوا نِفاقهم وكيدَهمْ ، ويهود نَقضوا عهودَهم ومَواثيقَهُم : « يَا أَيها الذين آمنُوا ٱذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيْكُم إذْ جاءَتْكُم جُنُودٌ فأرسلْنَا عليهمْ ريحاً وجنُوداً لَمْ ترَوْها ، وكان ٱللهُ بمـا تعمَلُونَ بَصِيراً . إِذْ جاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصارُ وَبَلَغَتِ ٱلقُلوبُ ٱلحَناجِر وَتَظُنُّونَ باللهِ ٱلظُّنونَا . هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَديداً . وَإِذْ يَقُولُ ٱلمُنافِقُونَ وَٱلّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعدَنا

اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً »[1]

هذا الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل ، يروي في مُسْنَدِهِ عن جابرِ بنِ عبدِ الله ، أنَّ النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم دعا في مسجدِ الفتح ثلاثاً ، يومَ الاثنين ويومَ الثلاثاء ويومَ الاربعاء فاستُجيبَ له يومَ الأربعاء بين الصلاتين فعُرِفَ البِشرُ في وجهه الشريف »

هذا هو مسجدُ الفتح ، ومسجدُ الأحزاب ، والمسجدُ الاعلى. هذا هو المسجد الذي يخصُّه بالزيارةِ رُوَّادُ طيبةَ ويُصلُّون فيه ، ويسألون الله ما يشاؤون من خيرِ الدنيا والآخرة ، لأنَّ اللهَ استجابَ دعاءَ رسوله فيه ، كما قال جابرٌ : « فلم ينزلْ بي أمْرٌ مُهِمٌّ إلا توجهتُ تلك الساعةَ ، فأدعو فيها فأعرف الإجابة ... »

وكان في العهد النبوي مُشيّداً باللبن ، وأوَّلُ مَنْ شيّده بالاحجار سيدُنا عمر بنُ عبد العزيز فجعله رواقاً واحداً يقوم على سوارٍ ثلاث ، وجدده بعدَ ذلك الوزير الفاطمي الحسين بن أبي الهيجاء عام ٥٧٥ هـ ، وعماره الحالي يرجع إلى عهدِ الدولة العثمانية.

وهذا المسجد مشيّدٌ على هضبة من جبل سَلع ، مِنْ جهتِهِ الغربية ، وهو يطلُّ على مجرى سيل بطحان . وقد اعتاد

(١) الأحزاب ٩ – ١٢

اهل المدينة الى عهد قريب، أنْ يخرجوا امرة بعد أخرى، إلى ساحته الكبرى، ويجروا فيها مرانهم الحربي، والعابهم الرياضية الفَنِّيَّة.

٥ – مسجد الاجابة

هو مسجد بني معاوية بن مالك بن عوف الأَوْسي، وسبب تسميته بمسجد الاجابة، الحديث الذي رواه مسلم عن عامر بن سعد، عن أَبيه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقبلَ ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل فيه فركع ركعتين وصلينا معه، ودعا طويلًا، ثم انصرف الينا فقال: سألتُ ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أَلّا يُهْلِكَ أَمتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته إلَّا يُهْلِكَ أُمتي بالغَرَق فأَعْطَانيها، وسألتُه أَلّا يجعلَ بأسهم بينهم فمنعنيها ولا يقال: في مسجد الفتح أُستجيبَ دعاؤُه، فلماذا خَصَّ النَّاسُ هذا الاسم بهذا المسجد؟. والجوابُ سَهْلٌ لأَنَّ المقصودَ هو الاشارةُ الى صلاةِ النبيَ صلى الله عليه وسلم بالمسجد، وهذه الحادثة أَكبر دليل على صلاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيه. والمسلمون حين يُنفقون الاموال الكثيرة، في إقامةِ هذه المساجد وتجديدها وحفظِهَا، إنما يقصدون الاحتفاظَ بمعالم الوحي، وذكرياتِ رسول

الله ومآثيره فيها . وقد كان روّادُ الاتراك في عهد الدولة العثمانية يتفقدون آثارَ رسول الله في المدينة المنورة ، ويحثون السلاطين والأثرياء ، على ترميمها وتشييدها ، حسب مقتضى الحاجة ، حفظاً لها من التداعي والضّياع ، وفي هذا العصر يهتمّ بهذا الأمرِ روّادُ المصريين والباكستانيين . والواقعُ أنَّ كلَّ مُسلمٍ ، مُطالَبٌ بحفظِ مَساجدِ رسول اُللّه صلى الله عليه وسلم وآثاره ، بكلِّ ما لديه من امكانيات ، لأنَّ غضّ الطرفِ والاهمال وعدمَ المبالاة ، لا يُبَشِرُ بخير . ويقعُ مسجدُ الاجابةِ شماليَّ البقيع ، فوق نَشزٍ من الأرض والنشز المرتفع .

٦ – مسجد الراية

هذا مسجدٌ يشاهده الوافدون من الشام إلى المدينة ، على شمائلهم . وهو المسمَّى بمسجد « ذُباب » لأنه يقعُ فوقَ جبلِ ذُباب . وقد ثبتَ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، صلى فيه . روى ذلك ابنُ شبَّة عن عبد الرحمن الأعرج ... وقد ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قُبَّتَه عليه في غَزوَةِ الخندق . وذكر الواقدي أنَّ يزيدَ بن هرمز كان يقاتلُ بالموالي على ظهرِ ذُباب ، وكان رئيسُهم يحمل الراية ، ومن هنا أسموهُ مسجد الراية .

يخشى المسلمون أنْ تندثر المساجدُ التي صلَّى فيها رسولُ الله أَو جلس . والأَصل في ذلك هو قول الله تعالى « واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » فلو لم تكن للصلاة في مقام إبراهيم، عليه الصلاة والسلام مِنْ بركةٍ وفضلٍ من الله، لما كان اللهُ حَثَّ عبادَهُ عليها . وهذا شأن الصلاة في المواطن التي صلى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . والسقيا هي بئر بحرة الوبرة، وهي الحرّة الغربية ، وشُيِّد هذا المسجد بجوار هذه البئر . وهذا سيدنا علي كرم الله وجهه يقول : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوةِ بدر حتى إذا كنا ببئر السقيا التي كانت لسعد بن أَبي وقاص فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « إِئْتُونِي بِوَضُوء فتوضأَ ثم قام فاستقبل القبلةَ فقال : « اللهم إنَّ إبراهيمَ كان عبدُكَ وخليلُكَ ، دعاكَ لأَهلِ مكةَ بالبركةِ ، وأَنا عبدُكَ ورسولُكَ أَدْعوكَ لأَهلِ المدينة ، أَنْ تباركَ لهم في مُدِّهم وصاعِهم ، مثلَ ما باركتَ لأَهلِ مكةَ، مع البركةِ بركتين» (١) ومن هنا جاء في بعض روايات أحمد

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

والطبراني : أنه أقيم المسجد حيث صلى رسول الله، والآن تسمى القبة القائمة هناك بقبة الرؤوس . وهي في العنبرية داخل محطة سكة الحديد . وجاء على هذا المسجد الشريف يوم كان فيه مندرساً . وقد قيض الله له العلامة السمهودي ، فبحث عنه حتى اهتدى إلى آثاره ، وأعاد تشييده ، ثم اندرس مرة ثانية فاختصروه في هذه القبة التي دفن بجانبها بعض رؤوس الأعراب فسميت باسمها عند العامة .

٨ – مسجد بني ظفر

يقع هذا المسجد في طرف حرة واقم الشرقية وهذا المسجد قائم على نشز منذ عصر النبوة لبني ظفر ، الذين يقطنون حواليه وقد ذكر محمد بن فضالة الظفري الصحابي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زارهم في منازلهم هناك . وجلس على الصخرة التي في مسجدهم . ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من أصحابه ، وأمر قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية : فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ؟ فبكى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اضطرب لحياه فقال : أي رب ، شهيد

على مَنْ أنا بين ظَهْرانيهِ فكيف بمن لم أرَه؟»[1] . وقد اهتمَّ المسلمون بهذا المسجد اهتمامهم بكل مساجدِ رسول الله في المدينة، فقد جدده الخليفة المستنصر بالله العباسي عام ٦٣٠ هـ ولا يزال الى اليوم الحجر الذي نقش عليه تاريخ عماره «غير أنَّ المسجد الآن أصبح خراباً واطلالاً بالية، وإذا لم يقمْ رجالٌ من المؤمنين في إعادة بنائه، ذهب أدراج الرياح، ونسي الناسُ مكانه. وكانت المسؤولية عظيمة، وحينئذ تبحثُ الأجيالُ الآتيةُ عن مكان المسجد فلا تهتدي إليه. اللهم أبلغ الانسانية رشدها، وألهمها ما فيه خيرَها وسعادتَها.

٩ – مسجد المُصَلَّى

هو المسجد المعروف بين العامَّة بمسجد الغمامة. وهو في البلدة بين المناختين. مناخة الحطب ومناخة ديرو. والمناخة هي مهبط القوافل والركوب، منذ العهد النبوي إلى اليوم، وحتى اليوم تجد السيارات تُنزل الوافدين فيها. ولأجل اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بميدان المناختين الفسيح، بأن يظل فسيحاً، لم تفكر دولةٌ من الدول التي تولت أمرَ الحجاز، أن

---

(١) رواه الطبراني بسند رجاله ثقات



تضيق منه أو تسمح لاحد بالعمار فيه ، احتفاظاً بالأمر النبوي:
ولولا أنَّ مُصلىً العيدين الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يُصلي فيه هو وأصحابُه ، ولولا خوف الحكوماتُ الإسلامية أن يصبح مَراداً ومَوْطئاً لأرجل الناس والدواب ، لما شيدوا فيه هذا المسجد العظيم الواسع . وهو مُشَيَّدٌ من الحجر الأسود ، الذي هو أقوى الأحجار على الاطلاق في الحجاز ، لا يتفتت على تطاول الازمان ، شأن الحجر الاحمر . وأعمدتُه من الرخام وقبابُه شامخةٌ . وله منبر ومحراب حسن ، ورواقان يطلان على الشارع ، يفصل بينهما الباب الخارجي . وهذا الفاصل هو الطريق الذي يوصل إلى الباب الداخلي ، وله مأذنة قصيرة . ويقع في شماله مسجد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم مسجد علي بن ابي طالب كرَّم الله وجهه .

وقد شَيد مسجدَ المصلى بعدَ تداعيه ، السلطانُ حسن ابن السلطان محمد بن قلاوون . وفي زَمن صاحب الرسالةِ صلى الله عليه وسلم ، لم يكن سوى مصلى للعيدين . ولم يُشَيَّدْ مسجداً لإقامةِ الصَّلاة اليوميّة فيه ، إلّا في القرن الثاني الهجري ، لازدحام المدينة بالسكان وكثرة الغادين والرائحين ،

في ميدان المناخة الفسيح . ولهذا المسجد مكانة حبيبة في نفوس المسلمين ، لأنه مُصَلَّى العيدين لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، نعم صَلَّى رسولُ اللهِ العيدين في مواطن مختلفة في المدينة المنوَّرة ، إلّا أنَّهُ في الأيامِ الاخيرة اقتصر على مصلّاه هذا . وظلَّ الحالُ كذلك بعد انتقالِه إلى الرفيق الأعلى حتى القرن التاسع الهجري .

ومسجدُ المُصَلَّى لا يزال — والحمد لله — شامخَ الاركان ، قويّ البناء يَسرُّ الناظرين ، ويفرحُ قلوبَ المؤمنين ، يؤمّه الروادُ في المواسم ، ويصلون فيه تبركاً ويدعون فيه .

١٠ — مسجد الفضيخ

الفضيخُ : الخمرُ ، مُشتَقٌّ من الفَضْخِ وهو التكسُّرُ والتَّفَسُّخُ ولا ريبَ أنَّ التَّمْرَ والعِنبَ أو سواهما إذا نقع طويلًا لاستخراج الخمر منه ، يكونُ فضيخاً ، إذن فالفَضيخُ هو لغةً هو مطلق الخمر ، وما سُمّيَ خمر العنب أَو التمر أو البُسْر فضيخاً إلا لشهرته ويعجبُ القراء قائلين ما الصلةُ بين الخمر والمسجد ، ولكن إذا عرفوا السبب بطل العجب . لأن الله عز وجل ، لمَّا أرادَ أن

يحفظ عقول عباده من الهَذرِ والهذيان، وأخلاقهم من التسفل والانحطاط، وأموالَهم مِن الضياعِ والتبذير، حرّم الخمرَ في أثناء الليالي الست التي قضاها رسولُه في جوار هذا المسجد، وهو يُصلي فيه، لدى حصارِه لبني النضير.

أجل في غُضونِ الليالي الست حرَّمَ اللهُ الخمرَ وكان في وقتِ التحريم أبو أيوب، في نفرٍ مِن أصحابِه يشربونَ الفضيخَ في المسجد، فلما وافاهم نبأ التحريمِ، نهضوا حالاً بكل امتثالٍ وطاعةٍ وأدب وتسليمٍ، إلى وكاء السقاء وأراقوا الفضيخ في أرضِ المسجد[٢] فسمي من أجل ذلك باسمِه ليكونَ ذكرى لتحريم أمِّ الخبائث. وسواء أكان الفضيخ هو خمر العنب أو التفاح أو الرطب، فإنَّ ذلك لا يُغيِّرُ من وضعيَّةِ التحريم، لكل أنواع الخمر، لأَن المقصود هو تحريم هذه المادةِ السَّامةِ القاتلة اللَّعِينة، من أي شيء صنعت. وهذا المسجدُ يقع في شرق العوالي، أدنى ما يكونُ الى الحرةِ الشرقية «حرة واقم» وهو لا يزال الى اليوم معروفاً بين الناس بمسجد الفضيخ،

(٢) لا يقال الخمر نجس فكيف اراقوها في المسجد، لان الائمة الذين قالوا بنجاستها أرادوا خيراً للعباد أرادوا « التنفير منها»

وهو متين البناء، وله خمس قباب، ومحراب متوسط الحال، ومنبر حجري، يصعد إليه بدرجتين، ويعود فضل عمارة الاخير الى الدولة العثمانية. ولما كان هـذا المسجد قائماً على نشزٍ من الارض، أسماه الناس أيضاً مسجد الشمس، لأن الشمس أول طلوعها تبدو أشعتها الذهبية على قبابه الشامخة.

١١ – مسجد أُبَيْ بن كعب

هذا المسجد تيمّن بصلاةِ رسول الله فيه. وقد اهتم به المسلمون الأولون اهتمامهم بكل مساجد رسولِ الله، وآثارِه وحين أدركه التداعي فرح بعض جهلةِ الحفارين، واتخذوه مخزناً لوضع المساحي والعتلات والقفاف والرفوش والفؤوس لقربه من البقيع الشريف. إذ يقع على يمين الداخل في البقيع، ولكن لم يطل عهد اهماله وهجرانِهِ، اذ جددته الدولة العثمانية، خشية نسيانه، وقد جعلت بناءه متيناً، وكذلك حدّدَتْ محرابه ويسمى أيضاً مسجد بني جديلة.

١٢ – مسجد السجدة

سبب عمارته هو ما رواه البيهقي في شُعَبِ الإيمان أنّ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم صلى ركعتين وسَجَدَ سجدة

طويلة جداً . وقد لاحظ الاستاذ عبد القدوس الانصاري هذه السجدة الطويلة فيه ، فأسماه مسجد السجدة ، وهي ملاحظة قيمة، لأنها ترمز إلى السبب الذي يدفع المسلمين دائماً الى العناية به ، وتعهدهم بعماره وحفظه من التلاشي . ولما كان لدى النخيل المعروفة بالبحير أسماه الناسُ مسجد البحير . هذه جملة من مساجد طيبة، آثرتها بالذكر لصلتها المشهورة برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أجرتِ الحكومةُ اصلاحاً عاماً لكل مساجد طيبة .

وأكبرُ اعتقادي أن مسلماً في قلبه ولو مثقال ذرة من إيمان ، يأبى أن يَنْعَمَ بطيبِ العيش، وهو يدري أن مسجداً من مساجد رسولِ الله أو أثراً من آثارِه مُزْمِعٌ بيد البلى والتداعي على الضِّياع . والويلُ كلَّ الوَيْلِ يوم يصل المسلمون إلى عدمِ الاهتمامِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومساجده وآثارِه، لا ريبَ أن ذلك لا يكون إلّا لدى قيام الساعة ، حين يُسْحَبُ الإيمان من قلوب العباد ، حتى لا يوجد في الأرضِ مَنْ يؤمنُ بوجود الله، كما قال عليه الصلاة والسلام « لا تقوم الساعةُ ، وفي الأرضِ مَنْ يقول الله الله »

تزول أعمالُ البشر مع أصحابها ، إلا الأعمالَ الكبرى ،



المغفور له السلطان عبد الحميد

فإنها لا تزولُ . هذا السلطان عبد الحميد طُويت صفحاتُ أعماله وانتهى الأمر ، وأسدِلَ عليها سجوفُ النسيان . ولكن لولا

عمله الكبيرُ الخالد ، وهو إنشاء خط قطار الحجاز الحديدي من دمشق الى المدينة المنورة ، لما ظلّ اسمُه يملأُ الأفواه والأَسماع. لا ريبَ إنه مِنَ الأعمالِ العالميّةِ الكبرى ، يعرف ذلك الذين كُتب لهم أنْ يركبوا هذا القطار من محطة دمشق في الشام إلى محطة المدينة المنورة في الحجاز ، وينظروا ما اقتضاه مِن منشآت ومحطات وقلاع وأنفاق وجسور وترضيبات للقبائل العربيّة التي مرّ الخط في أراضيها وسوى ذلك ، وقد كان تأثيره على إنهاض الحياة الاقتصادية في الحجاز كبيراً جداً ، حتى أنّ العُمران في المدينةالمنورة تسلّق جبل سلع ، و كاد يمتدُّ الى جبل أحد ، لو استمرّ الحال قليلا . واليوم أمل العالم الاسلامي كبير في إحياء هذا المشروع العالمي العظيم ، على يدِ صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، بعد مادمّرته الانقلابات العالمية المتتابعة ، أجرى اللهُ على يديه كلّ ما فيه الخير والفلاح .

وقد بلغت حفلة افتتاح هذا الخط الحديدي في اليوم الثالث من شعبان عام ١٣٢٦ هـ مِنَ الاحتشاد والروعة والأفراح ، ما لم تبلغهُ حفلةٌ يومئذ في العالم ، وقد شهدها

معظم الذين ساهموا بأموالهم ونفوذهم ، وساعدوا السلطان في أنجاز هذا المشروع الخطير ، كما شهدها كبار وزراء الدولة وعظماؤها . وقد القى كبير خطباء المسجد النبوي الشيخ يحيى دفتردار [1] خطبة الافتتاح ، بأمر السلطان ، كما تشاهده في الرسم التذكاري الأثري ، وقد رفع يديه في ختام الخطبة وهو يدعو للسلطان ، والذين ساعدوه ، بجزيل المثوبة من المولى الكريم . وإن العالم الاسلامي اليوم ، لَيثني على هذا الدعاء ، ويرفع يديه ضارعاً إلى المولى الكريم أنْ يلهمَ جلالة الملك وأنجاله النبلاء ، وذويه ، إعادة مياه هذا المشروع إلى مجاريها . وما ذلك على الله بعزيز .

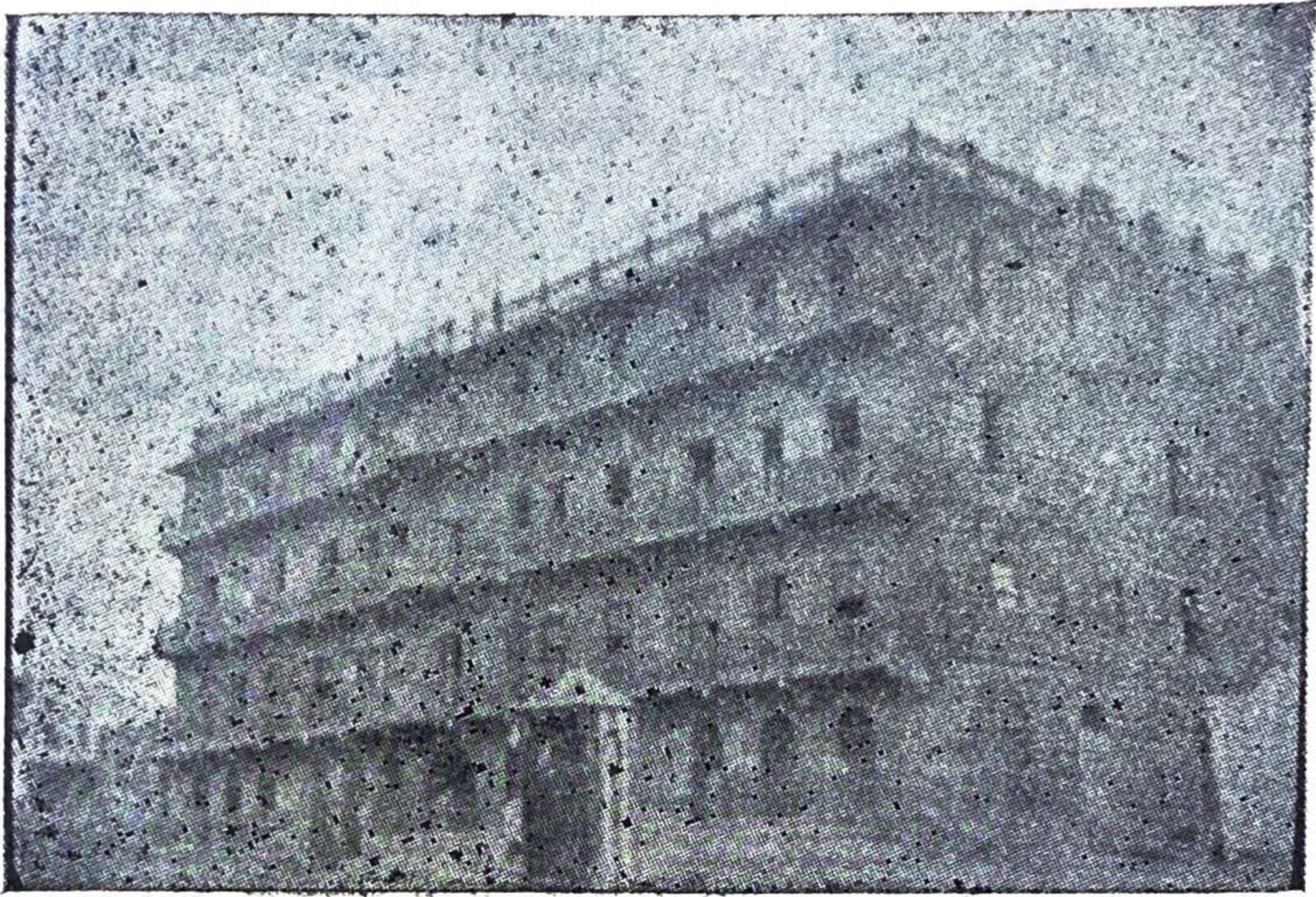
---

(١) هو جد المؤلف الشيخ يحيى بن محمد سعيد بن عبد القادر بن حسن بن محمد سعيد بن حسن ن يحيى بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن علي . وكانت لديه نسبة أثرية نفيسة ترجع الى معاذ بن جبل احتفظ بها اجداده في شتى هجراتهم . وقد احرقت مع مكتبته في منزله الذي في العنبرية أثناء غيابه عن المدينة مدة الحرب العالمية الاولى . ولم يكن اسفه على ضياع المكتبة يوم رجوعه بأكثر من أسفه على فقدها، ونفقدديوان خطبه الخطي...



الشيخ يحيى دفتردار يلقي خطبة افتتاح الخط الحديدي في محطة المدينة المنورة

دار الايتام الاسلامية في المدينة المنورة



كان يقطن المدينة المنورة المصلح الباكستاني الحاج عبد الغني «دادا» رحمه الله، فأوجعه أن يرى أطفال طيبة الأيتام وما جاورها يتسوّلون في موسم الزيارة، واعتقد أنّ كرام الزوار وأهلَ الإيمان من المسلمين، لو أنشأ داراً للايتام في المدينة المنورة لتفقدوهم بالكفاية وزيادة، فضلاً عما يُخصص لهم من أوقاف الحرمين الشريفين (١) وفي الوقت

(١) ما سمعنا أن أوقاف «رومة» أو أوقاف «الهاسة» منعها المشرفون عليها من الوصول الى مستحقيها. وكم في حجز أوقاف الحرمين الشريفين عن وصولها الى مستحقيها، في بعض الاماكن من مخالفة للشريعة الاسلامية المطهرة. سوف يلاقي المخالفون من الله سوء المؤاخذة على ان القوانين المدنية لا تستطيع ان تمنع ذوي الحقوق نيل حقوقهم، لذلك نطلب من جلالة الملك، ونائبه حاكم الحجاز، أن يهتما بجلب هذه الاموال الى الحرمين الشريفين، فانها توفر على الحكومة كثيراً من النفقات الخيرية المدارس والمشافي ودور الايتام، أجرى الله على أيديهم هذا الخير الكبير، فانهم أهل التقوى وأهل الخير ...

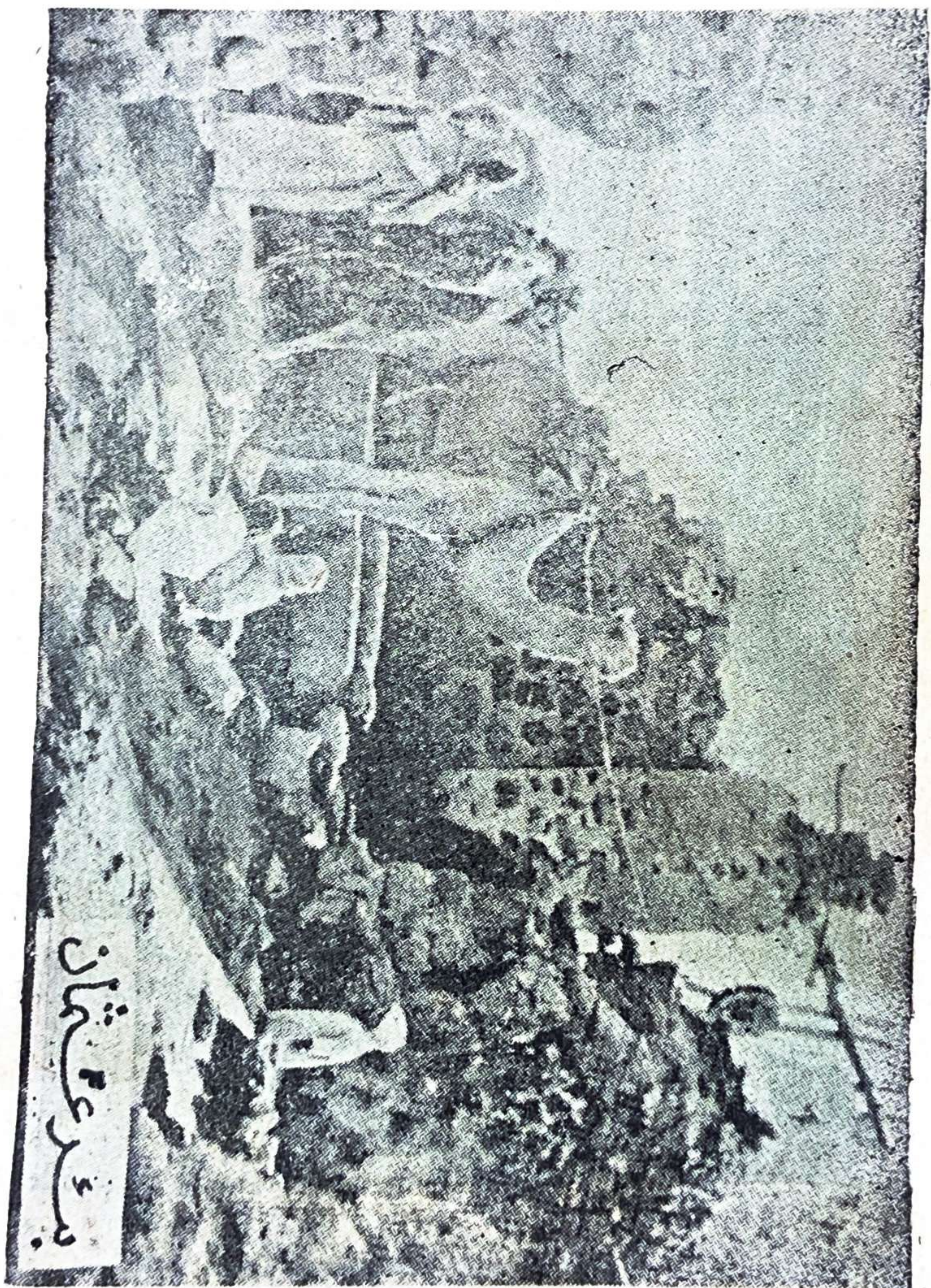
نفسه يعيش الايتامُ بعزةٍ وكرامةٍ ، ويتعلمون المعارف والصناعات ، وقد استشار ذوي الغيرة المحبين لجيران رسول الله من الباكستانيين وسواهم ، لاخراج المشروع من الفكر إلى العمل ، فكان ما لاقى من التشجيع منقطع النظير ، وفعلًا ما كاد يجتمع بصاحب الجلالة الملك ويعرض عليه الفكرة ، حتى سُرَّ بها كثيراً ، وأصدر أمره السني بانشائها برخصة تحت رقم ٨٣٣٢ ، ولم يشترط عليه سوى شرط واحد ، وهو وجوب التزام أحكام الشريعة المطهرة ، وكان هذا الشرط سبب نجاح المشروع ، وكان تاريخ انشائها عام ١٣٥١ هـ وقد جرى التعليم فيها وكذلك الصناعات وَفق منهاج المعارف العامة . فبلغ عدد الايتام الذين انضموا اليها ما يزيد على ٢٠٠ وتخرج منها شباب مهذب وصل الى أعلى درجات المناصب كما أوفى أعدادهم على ١٠١٠٠ . وللايتام صندوق توفير ، ترصد فيه موال الاعمال التي تُزاوَلُ في الدار فمتى أنهى اليتيم الدراسة سلمت إليه ليستعين بها في حياته ، وأساتذة الدار كلهم وطنيُّون من أهل المدينة المنورة لأن رغبة المؤسسين هي أن يفتحوا مجال

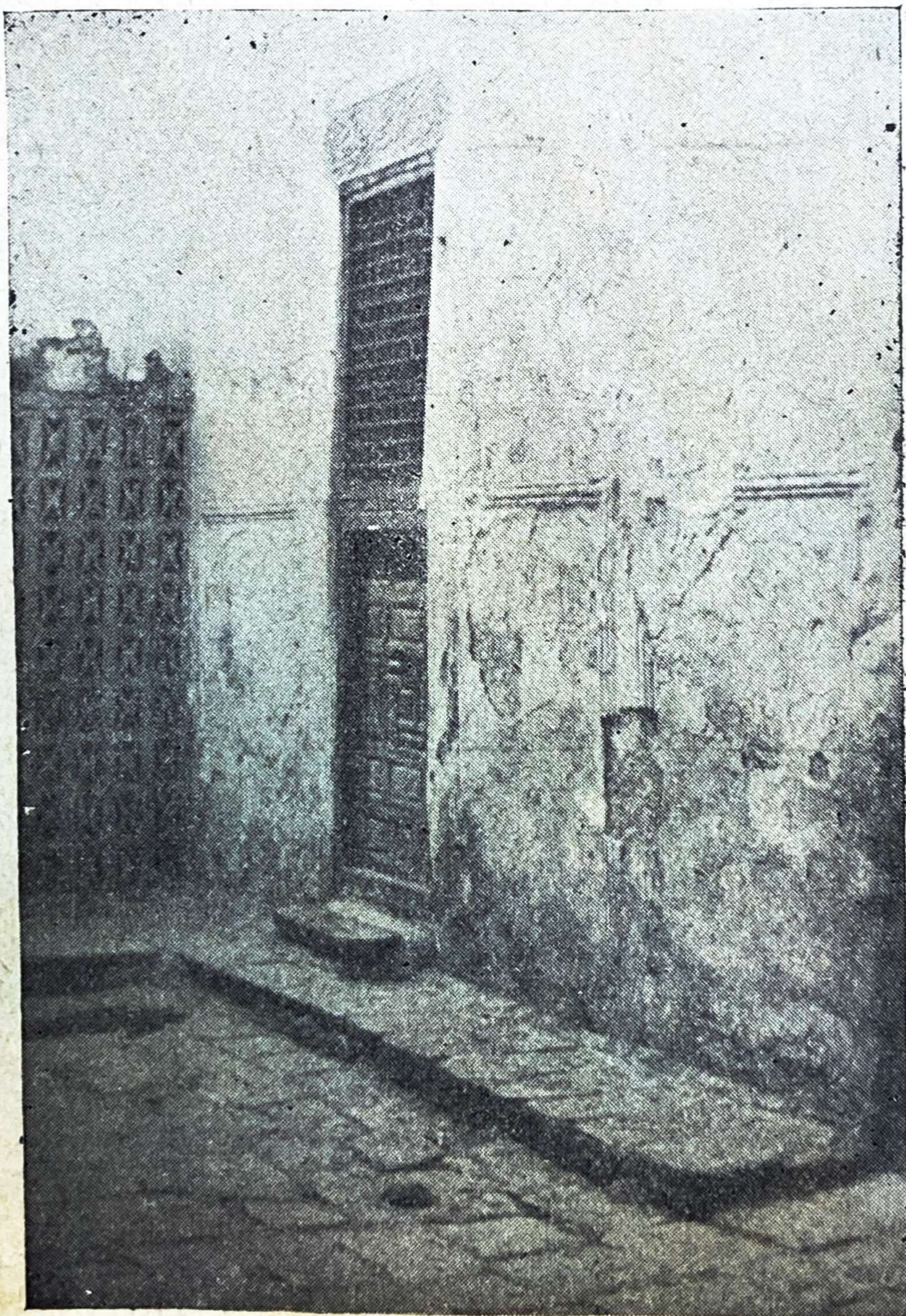
العيش ، لأهل المدينة أنفسهم ، وإن نظرة واحـدة لرسم دار الايتام تعطي فكرة صحيحة للقراء الذين يرغبون في مساعدتها.
ولا يزال الى اليوم يشرف على اعمـال الدار شقيـق المؤسس الحاج عبد الكريم « دادا » حفظه الله ، وهي آخذة سمتهـا في الحياة بصورة سريعة بهمة مديرهـا الغيور الاستاذ حسن بك العلي حفظه الله

لجنة الحج وشركة السيارات والمطار

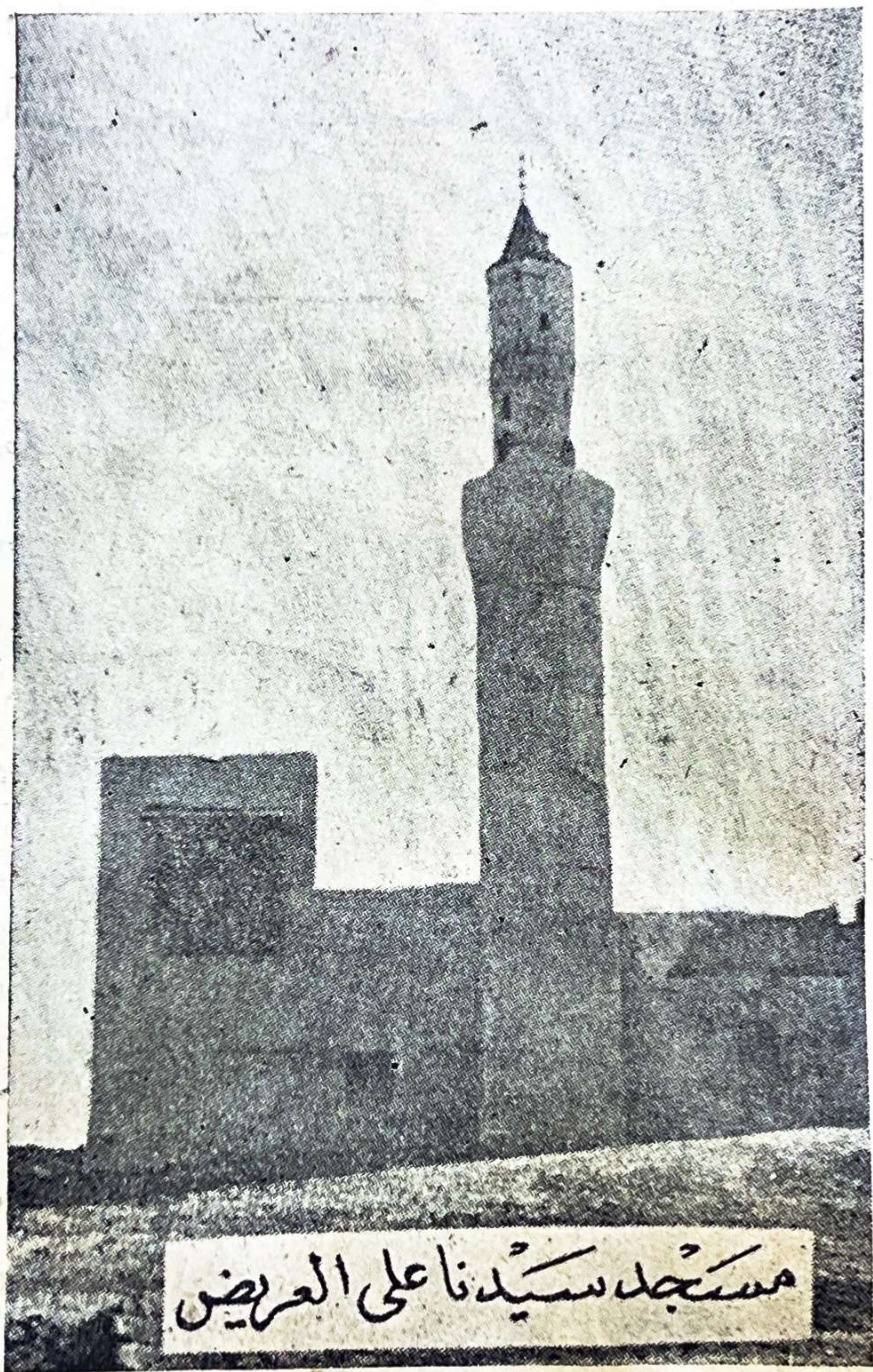
كان الوافدون الى الحرمين الشريفين ، يلاقون الشدائد والمتاعب ، لتشتت المراجع المسؤولة. واليوم وحدت الحكومة المسؤولية في ناحية خاصة . فأسست دور لجان الحج ، في مكة وجدة والمدينة ، ودارها في المدينة المنورة في اول شارع العينية . أمام شركة السيارات ، وهي قائمة بواجبها خير قيام بهمة مديرها الشاب المهذب السيد عثمان حافظ . وما أدق مواعيد شركة السيارات وأحسن نظامها ، والفضل في كل ذلك يرجع الى مديرها المسؤول السيد اسعد المفتي ، ولم يكن الشاب النابه السيد ابراهيم جليدان مدير المطار في المدينة المنورة ، بأقل من صاحبيه نشاطاً واخلاصاً . رعى الله الجميع واعانهم على القيام بواجباتهم

بعض المشاهد في المدينة المنورة





دار سيدنا عثمان رضي الله عنه



مسجد سيدنا على العريض

اصلاح خطأ

وقعت بعض أغلاط مطبعية الرجاء اصلاحها، وقد اقتصرنا على بعضها لوضوحها . كما تعمدنا أن نذكر أرقام الآيات وسورها لأجل المراجعة والتصحيح .

الصفحة	السطر	صواب	خطأ
٢٣	١١	يُرْجَعُون	تُرْجعون
٤١	٩	نُوحي	نوجي
٤١	١٥	حسابه	حساره
٤٩	١٦	عظيم	عظايم
٥١	١٠	بعدم	بعد
٦٠	٨	يرفضون الأخذ	يرفضون الوحي
٩٥	٩	وسعي وحلق أو تقصير	سقطت كلمة وحلق وتقصير
١٤٨	٦	تاريخي	تاريجي

الفهرس



مطبعة الاتحاد - شارع الأمير بشير - بيروت